فضيلة الرضا
وحاجة الأمة إليها

الاستاذ الدكتور
محمد رمزى احمد فواز
استاذ الدعوة والثقافة الاسلامية المساعد

بسم الله الرحمن الرحيم

فضيلة الرضا

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه ، وأشهد أن لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، وخالق السموات والأرض ، وجاعل الرضا من خصائص عباده المخلصين ، وأشهد أن سيدنا محمداً بن عبد الله خاتم الأنبياء والمرسلين ورحمة الله للعالمين ، وخير الراضين . ورضى الله تعالى عن أصحابه الطيبين الطاهرين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ....

وبعد

فالناس فى كل زمان ومكان وبخاصة فى زماننا هذا ، قد اشتدت وطأة المادة عليهم ، وأصبحت – عند كثير منهم – الدنيا أكبر همهم ، والمنفعة من مآربهم ، وطلب الجاه والسلطان هدفهم ، والتباهى بالقوة والغنى لغتهم ، ومن ثمّ سخط كل على حاله ، فهذا ساخط على نوعية عمله ، وهذا ساخط على درجته الاجتماعية ، وهذا ساخط على بيئته ولونه وطوله وقصره ، فهذا فقير يندب حظه ، وهذا غنى لا يشبع ويطمح فى المزيد ، وهذا مرءوس يطلب القيادة ... الخ ، وهذه النظرة إلى الحياة أفرزت سخائم متعددة منها : السخط والصراع ، والنفاق والإحباط ، والتزمر والتوتر ، والكبت ، وضيق الأفق ، والتخ‍ ط ، وجيشا من الكسالى والمحبطين ، وطوابير من مرضى العقول والنفوس ، وساد التخلف والجهل .... الخ

ولاعلاج يحسم هذه العلل ، ويضمد هذه الجراح المثخنة ، ويداوى هذه الأمراض المتوطنة إلا الرضا ، فالرضا ثماره يانعة ، وظلاله وارفة ، وماؤه عذب فرات ، يروى الظمآن ، ونوره ساطع مشرق ينير الطريق للحيارى ، ويؤمن النفوس المضطربة والعليلة ، ومواكب الرضا ومراكبه

تحمل الإنسان يدرك أن قافلة الحياة لا تمضى على وتيرة واحدة ، وتظهر أمامه تلك المعادلة الشاقة والشيقة : الحياة بين الألم والسرور ، وبين الغنى والفقر ، وبين العسر واليسر ، وبين الصعود والنزول ، وبين الحزن والفرح ، وبين الصحة والمرض ، إن ادراك هذه الحقيقة ، والإيمان بتقلبات الحياة والأحوال ، إن إدراك هذه المعادلة والرضا بها – مع ربط الأسباب بمسبباتها – لتقود الإنسان إلى ساحة الرضا والرضوان ، والراحة النفسية، والسعادة وراحة البال ، والطمأنينة القلبية ... وليس هناك ما يرجوه المرء أكثر من هذا بعد تأسيس كل ذلك على قاعدة صلبة ، وهى رضا الله عز وجل ، وليس وراء ذلك مراد . فارتداء لباس التقوى والورع والرضا غاية الغايات ، وأقصى أماني العباد ....

وفى هذا البحث الموجز عن الرضا تناولت : معنى الفضيلة ، وأصولها ، ووضعها ، وتفاوتها ، ثم تناولت موضوع الرضا ، فعرفته ، وبيّنت أقسامه ، وهل الرضا من المقامات أم من الأحوال ، والرضا والإحساس بالمكاره ، والرضا فى القرآن المجيد ، ومعنى الصدق ، ورضا الله تعالى عن السابقين وأصحاب الشجرة ، وحزب الإسلام ، وخيار البرية، والرضا والرضوان ، والرضا فى السنة ،والرضا والمعاصى ، والرضا والقضاء والقدر والدعاء ، وموجبات الرضا ، وبعض الحكايات والأقوال عن الراضين ، والرضا والصحة النفسية .. فاللهم أرضنا وارض عنا ،

د / محمد رمزى أحمد فواز

الفضيلة لغة : أصل الفضيلة : من الفضل ... وهو الزيادة عن فعل الواجب ... والفضل والفضيلة ضد النقص والنقيصة ، والفضيلة : الدرجة الرفيعة فى الفضل ، ويقال : رجل فاضل : أى ذو فضل ، ويقال : فَضَل فلان عليهم إذا غلب بالفضل عنيهم ، وتفضل عليه : تميز ، وفى التنزيل العزيز ﴿يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾ (١) معناه : يريد ان يكون له الفضل عليكم فى القدر والمنزلة ، والفواضل : الأيادى الجميلة وأفضل الرجل على فلان وتفضل : إذا أناله من فضله ، وأحسن إليه ، والإفضال : الإحسان ، وقوله تعالى : ﴿ وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ﴾ (٢) قال الزجاج معناه : من كان ذا فضل فى دينه فضله الله فى الثواب ، وفضله فى المنزلة فى الدنيا بالدين ، كما فضل أصحاب سيدنا رسول الله (ﷺ) ، والفضل : الزيادة ، وفى الحديث : " إن لله ملائكة سيَّارة فضلا " اى زيادة على الملائكة المرتبين مع الخلائق ...(٣)

وفى المعجم : فَضَل الشئ فضلا : زاد على الحاجة .. وفضل فلان على غيره : غلبه بالفضل ، فهو فاضل جمع فضلاء ... وأفضل إليه: احسن إليه ، والفضل المزية ، والفضل الإحسان بلا مقابل ، والفضيلة : الدرجة الرفيعة فى حسن الخلق .. وفضيلة الشئ : مزيته أو وظيفته التى قصدت منه ، ففضيلة السيف : إحكام القطع ، وفضيلة العقل : إحكام الفكر ، جمعها : فضائل (٤) . وعلى هذا فالفضيلة لفظة رقيقة نجد من ثناياها الزيادة على فعل الواجب المطلوب ، ومن ثم: زيادة القدر والمنزلة فى الدنيا والآخرة ، وميادين الفضيلة كثيرة ومتعددة ، ففيها

---

(١) سورة المؤمنون : آية رقم : ٢٤ .

(٢) سورة هود : آية رقم : ٣ .

(٣) انظر : لسان العرب : ابن منظور ٣٤٢٨/٥ ، دار المعارف . والحديث أخرجه مسلم في صحيحه عن أبى هريرة فى كتاب الذكر والدعاء .. باب فضل مجالس الذكر ج١٧ /ص١٤ – طبعة دار الكتب العلمية – بيروت .

(٤) انظر : المعجم الوجيز : ص ٤٧٤ ، ط مجمع اللغة العربية ، ط وزارة التربية

يتنافس أهل الفضل والخير ، وبها يتمايز الرجال ، وتظهر معادنهم ، ودرجاتهم بين العباد وعند رب العباد..

الفضيلة في الاصطلاح : قال الجرجاني (الفضل : ابتداء إحسان بدون علة) (١) وقال بعضهم : الفضيلة هى : اعتياد الخير ، وقال آخرون : الفضيلة هى : القيام بالواجبات الأدبية إلفا وعادة .. وهى تقتضى من طلابها : مجاهدة ومراقبة ذاتية ، واحتمالا وصبرا حتى تنتظم له كل الأحوال الفاضلة ، لتوافق أعماله القانون الأدبى ، وتصفو له موارد الحياة من أكدار الشهوات واللذات التى لا تلائم الخير ، وقال آخرون الفضيلة هى : التوجه بعزم ثابت وإرادة صحيحة إلى الأعمال السامية واختيارها ، وهى لذلك كانت مصدر الإحساس الشريف، والعاطفة النبيلة ، والأعمال الجيدة المتجددة ، ويرى فريق آخر أن الفضيلة : بذل العزمة الثابتة فى الطاعة على هدى وعن محبة ، وعن رغبة كما أمر به العقل الرشيد .. وجمهور علماء الفضائل والأخلاق على أنها : عواطف الخير الراسخة فى النفس التى تجعلها ميالة إلى فعل الخير، واجتناب الشر دائما ...(٢) وقال الراغب (الفضل : الزيادة عن الاقتصار، وذلك ضربان : محمود كفضل العلم والحلم ، ومذموم كفضل الغضب على ما يجب أن يكون عليه ، والفضل فى المحمود أكثر استعمالا .... وقوله تعالى : ﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ (٣) ، فإنه يعنى بما خص به الرجل من الفضيلة الذاتية له ، والفضل الذى أعطيه من المكنة والمال والجاه والقوة ... وكل عطية لا يلزم من يعطى يقال لها فضل نحو قوله تعالى :

---

(١) التعريفات : الجرجانى : ص ٢١٥ ، تحقيق د / عبد الرحمن عميرة ، عالم الكتب ، بدون

(٢) انظر : الخلق الكامل ، محمد احمد جاد المولى ٤/ ٥ ، ٦ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، بدون .

(٣) سورة النساء : آية رقم : ٣٤ .

﴿ وَاسْأَلُواْ اللَّهَ من فَضْلِهِ ﴾ (١) ، وقوله سبحانه : ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ ﴾ (٢) ، وقوله سبحانه : ﴿ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ (٣) ، وعلى هذا قوله : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ ﴾ (٤) ، وقوله : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ ﴾ (٥) (٦) ....

أصول الفضائل :

إن ساحة الفضائل شاسعة ، وضروبها كثيرة ومتنوعة ، وميادين الفضائل قد لا تقع تحت حصر. هذا من حيث مسالك الفضائل ، لكن من حيث الأصول والقواعد التى تنطلق منها لفعل الخير فهى كثيرة ايضا ومتعددة . لكن العلماء جمعوا أصولها فى أربعة ، ومن تلك الثوابت تنطلق الفضائل ، قال ابن حزم (اصول الفضائل كلها أربعة ، عنها تتركب كل فضيلة وهى : العدل ، والفهم ، والنجدة ، والجود ، وأصول الرذائل كلها أربعة عنها تتركب رذيلة وهى أضداد الذى ذكرنا ، وهى : الجور والجهل والجبن والشح) (٧) ... وذهب بعض العلماء نحو منحى آخر وقال (إن أصول الفضائل أربعة : الحكمة والشجاعة ، والعفة ، والعدل)(٨)

وبإمعان النظر نجد أن هذا ليس ببعيد عن القول السابق . وهناك من أرجع كل الفضائل وحصرها فى أمر واحد ، وجعلها رحى تدور

---

(١) سورة النساء : آية رقم : ٣٢

(٢) سورة الحديد : آية رقم : ٢١

(٣) سورة الجمعة : آية رقم : ٤

(٤) سورة يونس : آية رقم : ٥٨ .

(٥) سورة النور : آية رقم : ٢٠ .

(٦) المفردات فى غرائب القرآن : الراغب : ص ٣٨١ ، تحقيق محمد سيد كيلانى ، البابى الحلبى ، ط ١٣٨١ هـ .

(٧) مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق والزهد فى الرذائل : ابن حزم ، تحقيق : ابو حذيفة ابراهيم بن محمد : ص ٥٠ ، ٥١ ، مكتبة الصحابة ، ط ١٤٠٧ هـ .

(٨) الأخلاق : احمد امين : ص ١٨٢ ، مكتبة النهضة ، ط ١٩٢٤ .

حولها بقية الفضائل ألا وهي فضيلة المعرفة ، ومن قال بهذا اشترط العمل على وفقها ،فمعرفة الخير مثلا ليست كافية في الحمل على فعله، بل لابد أن ينضم إلى ذلك إرادة قوية حتى يعمل وفق ما يعلم ....(١) .

وضع الفضائل :

ذهب كثير من المهتمين بدراسة الفضائل الى أن لها نظرية تمضي وفقها أبدا ، وهي نظرية (الأوساط) بمعنى أن كل فضيلة وسط بين رذيلتين وهما : الإفراط والتفريط ، فمثلا : الشجاعة كي تكون فضيلة يجب أن تكون وسطاً بين التهور والجبن . والكرم لكي يصبح فضيلة يجب أن يكون وسطاً بين السرف والبخل ، والعفة تكون وسطاً بين الفجور والخمود وهكذا ... لكن اعترض على هذه النظرية ، وقيل : من الذي يحكم بأن هذه الحالة أو تلك هي حالة الاعتدال دون غيرها ، ويصعب الأمر في وضع نقطة في منتصف الطريق بين رذيلتين لإدارك الفضيلة بينهما ، وأيضا ما يعد اعتدالا في وقت ما ، أو مكان ما ، قد يعد تطرفا في زمان أو مكان آخرين ، وما هو كرم بالنسبة لإنسان قد يكون إسرافا أو بخلا عند آخر . ثم إن الفضيلة ليست دائما في منتصف الطريق بين رذيلتين بالتمام ... فمثلا : الشجاعة أبعد من الجبن منها إلى التهور ، والكرم أقرب إلى نقطة السرف منه إلى البخل ، وهكذا . وأيضا إن هناك فضائل لا يظهر لها أوساط بين رذيلتين ، خذ مثلا : الصدق ، فهو ليس وسط بين رذيلتين : فإما صدق وإما كذب ، وقل مثل ذلك في العدل ، إما عدل وإما ظلم (٢) . وقل مثل ذلك أيضا في فضيلة الرضا ، فإما رضا وإما سخط ...

---

(١) انظر : المرجع السابق : ص ١٢٨ ، وانظر : تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق ، ابن مسكويه ص ٤٥ ، منشورات دار مكتبة الحياة بدون .

(٢) انظر : المرجع السابق : ص ٤٥ ، ٤٦ ، والأخلاق : احمد امين : ص ١٨٣ .

وذهب العلماء مذاهب شتى فى تقييم الفضائل ، ولم ترس سفنهم على مرفأ واحد ، وما يقوله البعض يعترض البعض الآخر عليه، ويأتى بتقسيم غير الأول ، ويأتى فريق ثالث بنحو منحى آخر يخالف كل ما سبق ... لكن الجميع متفق على أهمية الفضائل ، وترسيخها بين الناس ... ففريق يقول : إن الفضائل إما شخصية أو اجتماعية أو دينية . . **فالشخصية مثل ضبط النفس وتهذيبها ،** والاجتماعية مثل العدل وهو أداء حقوق الناس ، وكذا الإحسان ، وهو أداء ما يحتاج الناس إليه فوق حقوقهم . أما الفضائل الدينية فهى تشمل كل ما يلزم الإنسان تجاه خالقه سبحانه .

إلا أن هذا التقسيم كان عليه بعض الردود ، فمثلا : الإنسان ليس منفصلا عن المجتمع الذي يعيش فيه ، فكل منهما يؤثر فى الآخر، فالمجتمع وظروفه يؤثر فى الفرد ، والفرد وماله من مواهب يؤثر فى المجتمع ، وعلى ذلك فلا فصل بين فضائل شخصية محضة ، وفضائل اجتماعية محضة (١) وأيضا إن الفضائل الشرعية تشمل هذا وذاك ... إن الفرد السوى لا غنى له أن يتحلى بالفضائل الشخصية التى تنظم حياته، ويجعل ملكاته وكل قواه فى حالة تعادلية ورقى ، وكذا الفضائل الاجتماعية فهي في محاولة دؤبة لتجعل الوفاق يسود بين الفرد وبقية الناس حوله ، حتى ترقى حياتهم ، وينعم الجميع بالخير والفضل وإيصال الحقوق لأصحابها ، ويرقى المجتمع بافراده وذلك إذا سادت الفضائل ، واندحرت أمامها الرذائل ...

هل الفضائل متفاوتة ؟ :

نعم إن الفضائل تختلف فى ترتيب الأوائل منها من حيث الأهمية، من بيئة إلى أخرى ، ومن زمن إلى آخر ، وذلك لأن المجتمعات متغايرة ، والأصول مختلفة ، والأزمان كذلك ، وحتى النشاط الإنسانى أو البشرى

---

(١) انظر : الأخلاق : احمد امين : ص ١٨٤

أيضا متغاير من بلد إلى بلد ، وقل مثل ذلك فى التقدم والتخلف والفقر والغنى الخ ... وعلى ذلك فترتيب الفضائل من حيث الأهمية والتقديم والتأخير متفاوت ، فالفضائل فى الأمة الزراعية غيره فى الأمة الصناعية ، وفى الأمة الحاصلة على قدر كاف من الثقافة والمدنية غيره فى الأمة التى ما زالت تئن من الأمية والجهل الخ ومن هنا يختلف ترتيب الأولي فى الفضائل ، فمثلا الأمة التى دنست أقدام العدو أرضها ترى الشجاعة ومقاومة العدو على قمة الفضائل .. والأمة التى يسود بينها السلام والوئام ترى العدل على رأس الفضائل ، والأمة الصناعية ترى الأمانة هى عماد الفضائل ، وهكذا ... بل إن مفهوم الفضيلة الواحدة قد يتسع مفهومه ويتطور من أمة إلى أخرى ومن زمن إلى زمن . فمثلا الشجاعة عند قدماء اليونان كان لا يعرف عنها إلا الصبر على تحمل الآلام الجسدية ، أما اليوم فيفهم منها ما هو أعم وأشمل من ذلك بكثير ، حتى صار من معانيها : تعبير الإنسان عن رأيه من غير خشية أو خوف عن حوله ... ويقال مثل هذا فى فضائل كثيرة .. (١)

وهناك اختلاف من نوع آخر حول الفضائل وتفاوتها فى القيمة والأسبقية متلبسة بالأشخاص من حيث أحوال الفرد وظروفه النفسية والبيئية والثقافية والمادية والعمرية الخ ... فالكرم – مثلا – فضيلة لكن بالنسبة للفقير ليست من الأهمية بالدرجة التى لها بالنسبة للغنى ، فلو تساوى الكرم بين الفقير والغنى لأصبح الغنى – رغم ما أنفقه بخيلا بالنسبة لما أنفقه الفقير ... وهكذا يقال فى الفضائل التى يجب التحلى بها بالنسبة لسن الإنسان ، فما يلزم من أوليات الفضائل للشاب غير التى تلزم المسن ، وكذا فضائل النوعين من البشر : الرجل والمرأة . فترتيب الفضائل بالنسبة للرجل غير ترتيبها بالنسبة للمرأة ... وكذا الوضع الأدبى والاجتماعى ، فمثلا : فضائل التجار ليست فى ترتيب فضائل العلماء ... وهكذا ... إلا أن الذى يجمع الجميع هو التحلى بالفضائل ،

(١) انظر : المرجع السابق : ص ٧٨ .

سواء اختلفت من مكان إلى مكان أم من زمن إلى زمن ، أم من نوع إلى نوع ، ويلزم الجميع كذلك فضائل مشتركة مثل الصدق والعدل ، واختلافهم في بقية الفضائل من حيث الأوليات تؤدي إلى التكامل والتعاون والتكافل ، فهذا يأخذ من هذا قسطا والعكس حتى يتقارب الجميع وتسود الفضائل بكل أنواعها بين الجميع ، وهذا ما يجعل الناس في وئام وسلام وأمن ورضا ... وأصبح لديهم القدرة على إثبات النضج الانفعالي ، وتقبل الواقع دون الاعتماد على أحد من وجهاء ووسطاء ، وعندما تصير الفضائل سجية صار أصحابها هم الأسوياء دون غيرهم بلا منازع ، وهم الذين نزع الله – عز وجل – من قلوبهم الغل والحقد والكراهية والظلم وسوء الطوية ، وهم الذين تحلوا بالصبر وضبط النفس ، وتزينوا بالصدق والعفة والطهارة والرضا ، وكل صفات الجمال الخلقي والخلقي ... أما إذا ذهبت الفضائل ، وحلت محلها الرذائل في مجتمع ما ، وسادت النقائص ، واختل التوازن ، عم البلاء والشقاق والصراع ، وانتشر الظلام وظهر الفساد ، وساد السخط الخ وهذه الأمراض تفتك بالمجتمع وتجعله ينهار على من فيه ، بعد أن يعيش زمنا متصدعا ....

هذه نبذة موجزة عن الفضائل فرضها علينا البحث ، حيث موضوعه: الرضا ، وجل العلماء ذهبوا أن الرضا فضيلة (١) ، وهي فضيلة لا تساويها فضيلة من الفضائل كما سيتضح فيما هو آت ....

---

(١) ذهب الى هذا مثلا : الغزالي في إحياء علوم الدين : وقال بالنص (بيان فضيلة الرضا) انظر ٤ / ٣٩٤ .

الرضا -

ليس المهم أن تكون غنيا او فقيرا ، رئيسا أو مرءوسا ، ذو جاه وسلطان أم دون ذلك بل المهم هو الرضا القلبي ، والاطمئنان النفسي بما قدر الإله – تبارك وتعالى – وهذه لا يصل إليها إلا أصحاب الهمم السامقة والإيمان الراسخ المتغلغل في أحشاء النفس ، والساري في شرايين الدم وتلافيف المخ أو العقل ....

الرضا في اللغة : ضد السَّخَط ، والسخط في اللغة ضد الرضا ، فهما ضدان ، وسخط الشئ سخطا كرهه ، وسخط أي غضب فهو ساخط ، واسخطه : أغضبه ، وتسخط عطاءه أي استقله ، ولم يقع موقع الرضا ، يقول : كلما عملت له عملا تسخطه أي لم يرضه ... وفي الحديث " إن الله يسخط لكم كذا " أي يكرهه لكم ، ويمنعكم منه ، ويعاقبكم عليه (١) .. وفي المعجم : رضيه ، ورضى به ، ورضى عنه ، ورضى عليه ، ورضيه رضا ورضاء ورضوانا ، ومرضاه : أي اختاره وقبله . ويقال : رضيه له أي : رآه أهلاله ، ورضى منه كذا أي : اكتفى فهو راض .. وأرضاه : جعله يرضى ... ويقال : ارتضاه لصحبته أي : اختاره أوراه اهلالها ... وتراضيا : توافقا ، وترضاه أي طلب رضاه ...(٢) وعلى ضوء ما سبق فالرضا اختيار وقبول ، وأهل الرضا هم المستحقون الرضوان من الله عز وجل ، وتكتب لفظة الرضا هكذا بالالف كما هو في كتب اللغة ، وسوف أمضى على هذا ، إلا ما كان من ابن القيم فكتبها بالياء ، وما نقلته عنه سأكتبه كما كتبها يعني بالياء ، إلا ما وقع مني سهوا ...

---

(١) انظر : لسان العرب : ابن منظور ٣/ ١١٦٣ ، ٦٤ والحديث أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة كتاب الاقضية : باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة ج١٢ص١٠

(٢) انظر : المعجم الوجيز : ص ٢٦٧ .

الرضا في الاصطلاح :

لقد كثرت تعريفات الرضا عند المهتمين بفضائل الإسلام ، وبالنظر إليها بعين الفحص نجد أنها تنبع من معين واحد ، وتصب في بحر واحد شاسع ... والرضا كما سيأتي أعلى مقامات الإيمان بالله تبارك وتعالى . والمتلبس به له الاطمئنان القلبي والنفسي ، والنور الذي يهتدي به في دنيا الناس ، أما في الآخرة فله المقام الرفيع ، والدرجات العالية عند الله عز وجل ؛ وهاكم بعض التعريفات :

الرضا هو : ارتفاع الجزع في أي حكم كان .

وقيل هو : استقبال الأحكام بالفرح .

وهو : سكون القلب تحت مجاري الأحكام .

وهو : نظر القلب إلى اختيار الله تعالى للعبد ، وترك السخط .

والرضا : الوقوف الصادق مع مراد الله – تبارك وتعالى –

والرضا : أن يرضى العبد بعبادة ربه عز وجل وحده ، وأن يسخط عبادة غيره . (١) .

وعلى هذا فالرضا باب الله الأعظم ، وجنة الدنيا ، ومستراح العارفين ، وحياة المحبين ، ونعيم العابدين ، وقرة عيون المشتاقين (٢) .

أقسام الرضا :

والرضا ثلاثة أنواع من حيث الراضين :-

١ – **رضى العوام :** وهو الرضى بما قسم الله وأعطى ..

٢ – **رضى الخواص :** وهو الرضى بما قدر وقضى الله عز وجل .

---

(١) انظر : مدارج السالكين ... ابن قيم الجوزية ٢/ ١٧٧ ، حققه محمد بن ابى بكر ، بدون

(٢) انظر : المرجع السابق ٢/ ١٧٤

٣ – رضى خواص الخواص : وهو الرضى بالله عز وجل بدلا من كل ما سواه (١) .

الرضا مقام أم حال :

بمعنى هل الرضا مكتسب او هو هبة من الله عز وجل يناله المحبوبون المقربون ؟

ذكر ابن قيم الجوزية اختلاف أرباب السلوك فى هذا وقال (الخراسانيون قالوا : الرضا من جملة المقامات ، وهو نهاية التوكل ، فعلى هذا يمكن أن يتوصل إليه العبد باكتسابه)

والعراقيون قالوا : هو من جملة الأحوال ، وليس كسبيا للعبد ، بل هو نازلة تحل بالقلب كسائر الأحوال .

والفرق بين المقامات والأحوال : أن المقامات عندهم من المكاسب والأحوال مجرد المواهب .

وحكمت فرقة ثالثة بين الطائفتين ، منهم القشيرى – صاحب الرسالة وغيره فقالوا : يمكن الجمع بينهما ، بان يقال : بداية الرضى مكتسبة للعبد ، وهى من جملة المقامات ، ونهايته من جملة الأحوال ، وليست مكتسبة ، فأوله مقام ، ونهايته حال) (٢) .

والتحقيق فى هذه المسالة : ان الرضى كسبى باعتبار سببه ، موهبى باعتبار حقيقته ، فيمكن أن يقال بالكسب لأسبابه ، فإذا تمكن فى أسبابه ، وغرس شجرته : اجتنى منها ثمرة الرضى ، فإن الرضى آخر

(١) انظر : المرجع السابق ٢/ ١٧٧

(٢) مدارج السالكين : ابن القيم ٢/ ١٧١ ، الرسالة القشيرية ، للقشيرى.

التوكل ، فمن رسخ قدمه فى التوكل والتسليم والتفويض : حصل له الرضى ولابد ، ولذلك أثنى الله عز وجل على أهله ، واخبر أن ثوابه رضاه عنهم ، الذى هو أعظم واكبر وأجل من الجنان وما فيها ، فمن رضى عن ربه رضى الله عنه ، بل رضى العبد عن ربه من نتائج رضى الله عنه ، فهو محفوف بنوعين من رضاه عن عبده : رضى قبله ، اوجب له أن يرضى عنه ، ورضى بعده ، هو ثمرة رضاه عنه (١)

الرضا والإحساس بالمكاره :

إن الإحساس بالآلام والمكاره التى يقابلها الراضى فى دنياه أمر فطرى ، ولابد للمسلم من وجود هذه العقبات وهو يمضى فى مشوار حياته ... ولا يتناقض هذا مع الرضى بحال .

قال ابن القيم (إن وجود التألم وكراهة النفس له لا ينافى الرضى ، كرضى المريض بشرب الدواء الكريه ، ورضى الصائم فى اليوم الشديد الحر بما يناله من ألم الجوع والظمأ ، ورضى المجاهد بما يحصل له فى سبيل الله من ألم الجراح وغيرها . وطريق الرضى طريق مختصرة ، قريبة جدا ، موصلة إلى أجلّ غاية ، لكن فيها مشقة ، وعقبتها - عدم وجود - همة عالية ، ونفس زكية ، وتوطين النفس على كل ما يرد من الله تعالى ... ويسهل ذلك على العبد : علمه بضعفه وعجزه ، ورحمته به ، وشفقته عليه ، وبره به ، ويطرح نفسه بين يديه ، ويرضى به وعنه وتتجنب دواعى حبه ورضاه كلها إليه) (٢) .

قيل ليحيى بن معاذ : متى يبلغ العبد مقام الرضى ؟

فقال : إذا أقام نفسه على أربعة أصول فيما يعامل به ربه ، فيقول : إن اعطيتنى قبلت ، وإن منعتنى رضيت ، وإن تركتنى عبدت ، وإن دعوتنى أجبت .

---

(١) انظر : مدارج السالكين ٢/ ١٧٣ .

(٢) مدارج السالكين ١٧٥/٢ ، وانظر : إحياء علوم الدين : الغزالى ٢٤٧/٤ - عالم الكتب ، بدون

وقال الجنيد : الرضى هو : صحة العلم الواصل الى القلب ، فإذا باشر القلب حقيقة العلم أداه إلى الرضا .

وقيل للحسين بن على رضى الله عنهما : إن أبا ذر رضى الله عنه يقول : الفقر أحب إلىّ من الغنى ، والسقم أحب إلىّ من الصحة ، فقال: رحم الله أبا ذر أما أنا فاقول : من اتكل على حسن اختيار الله له لم يتمن غير ما اختار الله له .

وقال الفضيل بن عياض لبشر الحافى : الرضا أفضل من الزهد في الدنيا ، لأن الراضى لا يتمنى فوق منزلته .

وقال أبو عثمان الحيرى : منذ أربعين سنة ما أقامنى الله تعالى فى حال فكرهته ، وما نقلنى الى غيره فسخطته .

وقال ذو النون : ثلاثة من أعلام الرضى : ترك الاختيار قبل القضاء ، وفقدان المرارة بعد القضاء ، وهيجان الحب فى حشو البلاء .

وكتب عمر بن الخطاب الى أبى موسى رضى الله عنهما : أما بعد : فإن الخير كله فى الرضى ، فإن استطعت أن ترضى والا فاصبر (١) .

الفرق بين الرضا والمحبة وبين الرجاء والخوف :

أن يعيش المؤمن فى دنياه بين الرجاء فى الله تعالى والخوف من الله عز وجل هذا أمر جميل ، لكن أجل منهما ، وأعظم أجرا أن يرتقى المحب إلى مقام الرضى والمحبة .

والفرق بينهما :

أن الرضى والمحبة حالان من أحوال أهل الجنة ، لا يفارقان المتلبس بهما فى الدنيا ، ولا فى البرزخ ، ولا فى الآخرة . بخلاف الخوف والرجاء فإنهما يفارقان أهل الجنة بحصول ما كانوا يرجونه ، وأمنهم مما كانوا

---

(١) انظر : مدارج السالكين ١٧٧/٢ ، وانظر : الرسالة القشيرية .

يخافونه وإن رجاءهم لما ينالون من كرامته دائما ، لكنه ليس رجاء مشوبا بشك ، بل هو رجاء واثق بوعد صادق ، من حبيب قادر ، فهذا لون ، ورجاؤهم فى الدنيا لون ... وهذا رضى منه ، وأما الرضى به ، فأعلى من هذا وأفضل ، ففرق بين من هو راض بمحبوبه ، وبين من هو راض بما يناله من محبوبه من حظوظ نفسه (١)

فطريق الرضى والمحبة : تسيِّر العبد وهو متسلق على فراشه ، فيصبح أمام الراكب بمراحل .. وثمرة الرضى : الفرح والسرور بالرب تبارك وتعالى (٢) .

الرضا فى القرآن :

جاءت مادة الرضا فى الذكر الحكيم أكثر من خمسين مرة (٣) ، وذلك بأساليب متنوعة ، ولكل موضع مناسبته وغاياته التربوية والدعوية ... وسوف نسبح قليلا فى الأنوار الربانية فى بحار الرضا من خلال نور القرآن ...

رضا الله عن عباده ، ورضا عباده عنه :

جاء فى هذا الموضوع عدة مواضع فى الذكر الحكيم :

منها : قوله جل شأنه : ﴿ قَالَ اللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (٤) . فهذه الآية الكريمة خصت الرضا هنا للصادقين – وكذا الصادقات – ولنطوف حول معنى الصدق .

---

(١) انظر : المرجع السابق ٢/١٧٤ . للقشيرى ص ٩٠ .

(٢) انظر : المرجع السابق ٢/ ١٧٦ .

(٣) انظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : محمد عبد الباقى : ص ٣٢١ ، مؤسسة الرسالة ، بدون .

(٤) سورة المائدة : آية رقم : ١١٩ .

الصدق : الصدق فى اللغة : نقيض الكذب ، يقال : صَدَقَ يَصْدُقُ صدقا .... قبل قوله ... وصدقه الحديث : أنبأه بالصدق ... وقوله تعالى : ﴿ لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ﴾ (١) .. وتأويله : ليسأل المبلغين من الرسل عن صدقهم فى تبليغهم ، وتأويل سؤال التبكيت للذين كفروا بهم، لأن الله تعالى يعلم أنهم صادقون .. والصديق : الدائم التصديق ، ويكون الذى يُصَدِّق قوله بالعمل ... وفي التنزيل (وأمه صديقة) (٢) أى مبالغة فى الصدق ..(٣) الخ وعلى ذلك فالصدق صفة لازمة تفصح عن نفس أبية حرة تتقزز من الكذب وتستر ذله ...

والصدق عند علماء أهل الفضائل هو :

مطابقة القول الضمير والمخبر عنه معا .. ويعبر عن كل فعل فاضل ظاهرا وباطنا بالصدق ، والصديق : من كثر منه الصدق ، بل يقال لمن لا يكذب قط ، وقيل : بل لمن لا يتأتى منه الكذب ، لتعوده الصدق . بل : لمن صدق بقوله واعتقاده ، وحقق صدقه بفعله (٤) ، ومن معانيه عند أرباب السلوك والحصول والوصول هو : صدق العبد فى الإنابة إلى الله تعالى بالتوبة النصوح . وهى أول مراتب الصدق (٥) ، والصدق عندهم يتداخل فى المعانى كلها ، والصادق يترقى من درجة إلى أخرى حتى يصل إلى مراده ، فقالوا : الصدق فى الإخلاص ، والصدق فى الصبر ، والصدق فى معرفة النفس والقيام عليها ، والصدق فى معرفة عدوك إبليس ، والصدق فى الورع ، والصدق فى الحلال الصافى، والصدق فى الزهد ، والصدق فى التوكل ، والصدق فى الخوف من الله .

(١) سورة الأحزاب : آية رقم : ٨ .

(٢) سورة المائدة : آية رقم : ٧٥ .

(٣) انظر : لسان العرب ، ابن منظور ٢/ ١١٦٣ وأنظر : المعجم الوجيز ص ٣٦٣ .

(٤) انظر : المفردات فى غرائب القرآن للراغب : ص ٢٧٧ .

(٥) كتاب الصدق : ابو سعيد الخراز : ص ٢٢ ، حققه د / عبد الحكيم محمود ، دار الكتب الحديثة ، بدون .

تعالى ، والصدق فى الحياء من الله تعالى ، والصدق فى معرفة نعم الله تعالى، والصدق فى المحبة ، والصدق فى الرضا ، والصدق فى الشوق إلى الله تعالى ، والصدق فى الأنس بالله عز وجل .. (١)

ومن أجل ذلك جاء ذكر الصدق فى الذكر الحكيم فى مواضع شتى ، وذلك لأهميته مثل قوله تبارك وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ (٢)

وقوله عز وجل : ﴿ فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم ﴾ (٣)

وقوله جل شأنه : ﴿ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ (٤)

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ﴾ (٥)

وقوله جلت قدرته : ﴿ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ ﴾ (٦)

وقوله جل جلاله : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ ﴾ (٧)

وآيات أخرى كثيرة فى الذكر الحكيم عن الصدق والصادقين وثوابهم .. وكذا أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وهؤلاء الصادقون رضى الله عنهم ورضوا عنه ، كما ذكرت آية المائدة السابقة ولا بأس بأن نستظل تحت أقوال بعض السادة المفسرين ، فقد فسر ابن كثير قوله تعالى ﴿ هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم ﴾ فسر

---

(١) انظر : فهرس الكتاب السابق ص ٩٥ ، وتحت كل عنوان كلام نفيس .

(٢) سورة التوبة : آية رقم : ١١٩ .

(٣) سورة محمد : آية رقم ١ .

(٤) سورة الأحزاب : آية رقم : ٢٣ .

(٥) سورة الأحزاب : آية رقم : ٨ .

(٦) سورة الأحزاب : آية رقم : ٣٥ .

(٧) سورة مريم : آية رقم : ٥٤ .

الصادقين هنا : بالموحدين ونقله عن ابن عباس رضى الله عنهما (١) . وجاء فى المنار (إن هذا اليوم الذى ينفع فيه الصادقين صدقهم فى : إيمانهم ، وشهاداتهم ، وفى سائر اقوالهم وأحوالهم) (٢) . وهؤلاء الصادقون الذى سبق بيان أحوالهم ، جعل الله تبارك وتعالى لهم الجزاء الاوفى وهو : الرضا ، وهو أسمى مقامات الجزاء ، وأعلى درجات المحبة والأنس ، فقوله جل جلاله (رضى الله عنهم ورضوا عنه) قال القرطبى (ثم بين ثوابهم، وأنه راض عنهم ، لا يغضب بعده ابدا (ورضوا عنه) أى عن الجزاء الذى أثابهم به) (٣).

وقال صاحب المنار قوله تعالى : ﴿ لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم﴾(٤) الجملة الأولى تقدم تفسيرها مرارا – المنار – واما الجملة الثانية : فهى بيان للنعيم الروحانى بعد ذكر النعيم الجسمانى ، فإن رضا الله عنهم ورضاهم عنه هو : غاية السعادة الأبدية فى نفسه ، وفيما يترتب عليه من عطاياه تعالى وإكرامه ، ومن كونهم ناعمين بذلك الإكرام ، مغتبطين به ، إذ لا مطلب لهم أعلى منه ، فتشتد أعناقهم إليه ، وتستشرف قلوبهم له ، حتى يتوقف رضاهم عليه ، وأما كونه سعادة فى نفسه فيعلم من حال كل من كان فى كنف إنسان : والد أوأستاذ أو قائد أو رئيس أو سلطان ، فإن علمه برضاه عنه يجعله فى غبطة وهناء وطمانينة قلب ، ويكون سروره وزهوه بذلك على قدر رئيسه الراضى عنه ، على حد البيت الذى يتمثل به الصوفية .

قوم تخالجهم زهو بسيدهم والعبد يُزهىَ على مقدار مولاه

---

(١) انظر : تفسير القرآن العظيم : ابن كثير ١٢٢/٢ – دار الفكر ، بدون .

(٢) تفسير القرآن الحكيم : تفسير المنار ، السيد محمد رشيد رضا : ٢٢٨/٧ ، الهيئة العامة للكتاب سنة ١٩٧٣ م .

(٣) الجامع لاحكام القران ، القرطبى ٢/ ٢٤٦٦ ، دار الغد

(٤) سورة المائدة : اية رقم : ١١٥

على أن مرضاة رؤساء الدنيا لا يستلزم رضا المرءوسين دائما ، لأن منهم الظالمين الذين لا يوفون أحدا حقه وإن كانوا راضين عنه . ورضوان أكرم الأكرمين يستلزم رضا من رضى هو عنه ، لأنه يعطيه أضعاف ما يستحق ، وفوق ما يؤمل ويرجو ، كما قال تعالى : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١) ورضوان الله تعالى فوق كل شئ) (٢) ، ويلاحظ الخلود والتأبيد ، والرضا ، والفوز الموصوف بأنه عظيم فى هذه الآية الكريمة – آية سورة المائدة ..

رضى الله عن السابقين :

وتوجد آية أخرى تذكر رضا الله تعالى ، والرضا عن الله عز وجل ، لكن فى نوع آخر من أناس آخرين ، وهذا من فيض رضوان الله تبارك وتعالى ، بأن جعل رضاه يتسع ويشمل آخرين غير آية المائدة السابقة ، وإن الكل فى نسيج واحد .

يقول جل ذكره : ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (٣) وبنظرة خاطفة يلاحظ : أن آية المائدة وآية التوبة كل منهما ذكرت رضا الله تعالى والرضا عن الله تبارك وتعالى ، كما أن كلاً منهما ذكرت الخلود والأبدية ، وكذا النعيم سواء المادى أم المعنوى ، وأيضا ذيلت كل منهما بقوله تعالى : (ذلك الفوز العظيم) وانفردت الأولى بذكر الصادقين ، والثانية أبرزت فضل أهل السبق من المهاجرين والأنصار ، ووعدت بالرضا لمن تبعهم إلى يوم الدين .. كما أن كلا منهما انفردت بسياق ومناسبة لما قبلهما وما بعدهما من الآيات ...

---

(١) سورة السجدة : آية رقم : ١٧ .

(٢) تفسير المنار ٧/٢٢٨ .

(٣) سورة التوبة : آية رقم : ١٠٠ .

وإلى هنا أتوقف عند بعض الشروح عمن جاء في شأنهم الرضا ، وسأقتصر بذكر بعض الآيات التي نصت عن الرضا ، ولن !

رضى الله تعالى عن أصحاب الشجرة :

ففي شأن الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة حتى سميت في التاريخ ببيعة الرضوان ، وفي خصوصياتهم ، وعلو شأنهم قال الله عز وجل ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾ (١)

رضى الله عز وجل عن حزب الإسلام :

إن حزب الله تبارك وتعالى كل ميوله وعواطفه ونشاطه وفكره وسلوكه تابع من منهاج ربه تبارك وتعالى ، ويقف هذا الحزب من أعداء الإسلام بعدم الميول والتودد إليهم وعدم الرضا بمعاداتهم للإسلام ، ويسلكون في هذا مسالك شتى ، نحو هؤلاء ولو كانوا أقرب الناس لصوقابهم ..

يقول عز من قائل : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٢) .

---

(١) سورة الفتح : آية رقم : ١٨

(٢) سورة المجادلة : آية رقم : ٢٢ ، وفي فتح الباري : لابن حجر : ومعنى (يحادون) أي يشاقون ويعادون الله ورسوله ٨ / ٥٠٩ ، ٥١٠ .

رضى الله تعالى عن خيار البرية :

وعن الأخيار من عباد الله عز وجل ، الذين آمنوا بالله ورسوله ، وعملوا بما آمنوا به والخشية سربالهم يقول عز وجل : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ * جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾ (١) .

ولقد تركز فى مواضع متعددة – كما سبق – ذكر رضا الله تبارك وتعالى عن عباده ، والرضا عن الله عز وجل من عباده .

والمعنى : أن الرضا عن الله عز وجل ، أن يكون الله تبارك وتعالى أحب الأشياء الى العبد ، وأولى الأشياء بالتعظيم ، وأحق الأشياء بالطاعة.. وأن تسبق محبته إلى القلب كل محبة ... وأن تقهر محبته كل محبة ... وأن تكون محبة غيره تابعة لمحبته ، فيكون هو المحبوب بالذات والقصد الأول... فالرضا عن الله عز وجل ، يكون كذلك بالرضا به خالقا ومدبرا ، وآمرا وناهيا ، وملكا ، ومعطيا ومانعا ، وحكما ، ووكيلا ووليا وناصر ومعينا ، وكافيا وحسيبا ورقيبا ، ومبتليا ومعافيا ، وقابضا وباسطا إلى غير ذلك من صفات ربوبيته ... والرضا عنه أيضا توحيده وعبادته ، والإنابة اليه، ولما كانت المحبة التامة ميل القلب بكليته إلى المحبوب : كان ذلك الميل حاملا على طاعته وتعظيمه ، وكلما كان الميل أقوى : كانت الطاعة أتم ، والتعظيم أوفر .. والرضا به : أصل الرضا عنه ، والرضا عنه : ثمرة الرضا به . وسر المسألة : أن الرضا به متعلق بأسمائه وصفاته ، والرضا عنه متعلق : بثوابه وجزائه ...(٢)

ولو أخذت فى ذكر آيات الرضا ، وحاولت استقصائها ، لطال المقام لكن أذكر بعضها هنا مجردة عن أى تعليق أو تفسير . وللقارئ من الذكاء ما يدرك به المرمى ...

---

(١) سورة البينة : الآيتان الأخيرتان .

(٢) انظر مدارج السالكين : ابن القيم ٢/ ١٨٢ وما بعدها .

يقول سبحانه وتعالى : ﴿ اليوم أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾ (١) .

ويقول جل جلاله : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ (٢) .

ويقول عز وجل : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾ (٣)

ويقول سبحانه وتعالى :﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ *ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً *فَادْخُلِي فِي عِبَادِي *وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾(٤)وآيات اخر...

وتوجد آيات أخرى تذكر الوسيلة وتخط الطريق للوصول الى رضى الله عز وجل غير ما سبق منها :

قوله تبارك وتعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ (٥).

وقوله عز وجل : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ (٦)

وقوله جل ثناؤه : ﴿ لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتَغَاء مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٧) وآيات آخرى ....

---

(١) سورة المائدة : آية رقم : ٣ .

(٢) سورة الضحى : آية رقم : ٥ .

(٣) سورة البقرة : آية رقم : ١٤٤ .

(٤) سورة الفجر : الآيات : ٢٧ – ٣٠ .

(٥) سورة البقرة : آية رقم : ٢٠٧ .

(٦) سورة البقرة : آية رقم : ٢٦٥ .

(٧) سورة النساء : آية رقم : ١١٤ .

ويوجد فى الذكر الحكيم النص على أفراد بأعيانهم ممن رضى الله تعالى عنهم مثل – بخلاف ما سبق – فى شأن سيدنا اسماعيل ﴿ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ (١) ، وكذلك قوله في شأن دعاء سيدنا زكريا ﴿ فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ (٢)

وفى شأن الصديق سيدنا أبى بكر رضى الله عنه قال سبحانه : ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى * الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى * وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى * إِلاَّ ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى * وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ (٣) ، وهناك آيات أخرى نزلت فى آخرين غيره ....

الرضا والرضوان :

سبق بيان بعض معانى الرضا ، والرضوان من الرضا ، إلا أنه أعلى مقامات الرضا بجميع أنواعه ، والرضوان هو الرضا الكثير ، الذى لا يحده حد ، ولا يقع تحت حصر ، وهو فوق النعيم المادى والمعنوى ، وقد وردت فى هذا الخصوص عدة آيات فى الذكر الحكيم منها :

قوله تبارك وتعالى : ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ.... ﴾ (٤)

وقوله جل ثناؤه : ﴿ وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ﴾ (٥)

---

(١) سورة مريم : آية رقم : ٥٥ .

(٢) سورة مريم : الآيتان : ٥ ، ٦ .

(٣) سورة الليل : الآيات ١٧ – ٢١ ، وقال المفسرون نزلت فى شأن أبى بكر الصديق ، انظر : تفسير القرآن العظيم : ابن كثير ٤/ ٥٢١ .

(٤) سورة التوبة : آية رقم : ١٠٩ .

(٥) سورة الحديد : آية رقم : ٢٠

وقوله جل جلاله : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (١) .. هذه بعض الآيات التى ورد فيها الرضا والرضوان فى الذكر الحكيم .

وما ذكرت إلا القليل منها ، وكل آية تحتاج إلى وقفات متأنية ، ولها دلالات خاصة ، وعطاءات ممدودة ، وظلال وارفة ، وفيضات عظيمة....

الرضا فى السنة :

جاءت فى السنة المطهرة أحاديث كثيرة تذكر الرضا والراضين ، وتؤكد ما جاء فى الذكر الحكيم عنهما ، وتفصح عن منزلتهم ومكانتهم عند العزيز القدير .. وسبحت كثيرا فى هذا وليبان للعمل الذى قاموا به، وللإيجاز أذكر بعضها :

قال رسول الله (ﷺ) : " ذاق طعم الإيمان من رضى بالله ربا ، وبالإسلام دينا ، وبمحمد رسولا " (٢) .

وقال (ﷺ) : " من قال حين يسمع النداء : رضيت بالله ربا ، وبالإسلام دينا ، وبمحمد رسولا ، غفرت له ذنوبه " (٣) .

وحول معنى الحديثين قال ابن القيم (وهذا الحديثان عليهما مدار مقامات الدين ، وإليهما ينتهى ، وقد تضمنا الرضى بربوبيته سبحانه وألوهيته ، والرضى برسوله والانقياد له ، والرضى بدينه ، والتسليم له ، ومن اجتمعت له هذه الأربعة فهو : الصديق حقا ، وهى سهلة بالدعوى واللسان ، وهى من أصعب الأمور عند الحقيقة والامتحان ، ولا سيما إذا

---

(١) سورة التوبة : آية رقم : ٧٢ .

(٢) أخرجه مسلم : فى كتاب الإيمان ١/ ٢ ، دار الكتب العلمية .

(٣) أخرجه مسلم فى كتاب : الصلاة : باب : استحباب القول مثل ما يقول المؤذن ٨٦/٤ ، دار الكتب العلمية ١٤٠١هـ ، ١٩٨١م .

جاء ما يخالف هوى النفس ومرادها ... فالرضا بإلهيته يتضمن الرضى بمحبته وحده ، وخوفه ، ورجائه ، والإنابة إليه ، والتبتل إليه ، وانجذاب قوى الإرادة والحب كلها إليه ...

والرضى بربوبيته : يتضمن الرضا بتدبيره لعبده ، ويتضمن افراده بالتوكل عليه ، والاستعانة به ، والثقة به ، والاعتماد عليه ، وأن يكون راضيا بكل ما يفعل به فالاول : يتضمن : رضاه بما يؤمر به . والثانى : يتضمن : رضاه بما يقدر عليه .

أما الرضى بنبيه رسولا : فيتضمن : كمال الانقياد له ، والتسليم المطلق إليه ، بحيث يكون أولى به من نفسه ، فلا يتلقى الهدى إلا من مواقع كلماته ، ولا يحاكم الا إليه ، ولا يحكم عليه غيره ، ولا يرضى بحكم غيره البتة . لا فى شئ من أسماء الرب وصفاته وأفعاله ، ولا فى شئ من أذواق حقائق الإيمان ومقاماته ، ولا فى شئ من أحكام ظاهره وباطنه .. وأما الرضا بدينه : فإذا قال ، أو حكم ، أو أمر أو نهى : رضى كل الرضى، ولم يبق فى قلبه حرج من حكمه ، وسلم له تسليما ، ولو كان مخالفا لمراد نفسه وهواها ...) (١) .

فالجزاء من جنس العمل ، ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾(٢) فإذا كان مقام الرضا رفيعا ، والجزاء جزيلاً ، والثواب عميماً ، فلا بد من التقديم والبذل والجهد للوصول إليه ، فبقدر الجد تكتسب المعالى ... ومن طلب العلا سهر الليالى ..

وفى حديث الرسول (ﷺ) : " إن عظم الجزاء من عظم البلاء ، وإن الله إذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضى فله الرضا ، ومن سخط فله السخط " (٣) .

---

(١) مدارج السالكين ٢ / ١٧١ ، ١٧٢ .

(٢) سورة الرحمن : آية رقم : ٦٠ .

(٣) رواه الترمذى : كتاب الزهد : باب ما جاء فى الصبر على البلاء : ٣٢٧/٤ ، دار الحديث ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م .

وعند أحمد " عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله (ﷺ) قال : " إذا رضى الله عن العبد أثنى عليه سبعة اصناف من الخير لم يعلمها " الحديث (١)

وعن أبى سعيد الخدرى قال : خطبنا رسول الله (ﷺ) خطبة بعد العصر إلى مغرب الشمس ، حفظها من حفظها منا ، ونسيها منا من نسى ... فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : اما بعد : فإن الدنيا خضرة حلوة وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون ، ألا فاتقوا الدنيا ، واتقوا النساء ، ألا إن بنى آدم خلقوا على طبقات شتى : منهم من يولد مؤمنا ويحيا مؤمنا ويموت مؤمنا ، ومنهم من يولد كافرا ويحيا كافرا ويموت، ومنهم من يولد مؤمنا ويحيا مؤمنا ويموت كافرا ، ومنهم من يولد كافرا ويحيا كافرا ويموت مؤمنا ، ألا إن الغضب جمرة توقد في جوف ابن آدم ، ألا ترون إلى حمرة عينيه وانتفاخ أو داجه ، فإذا وجد أحدكم شيئا من ذلك فالأرض الأرض ، ألا ان خير الرجال من كان بطئ الغضب سريع الرضا، وشر الرجال من كان سريع الغضب بطئ الرضا " الحديث (٢) .

" وعن أنس رضى الله عنه قال : دخلنا مع رسول الله (ﷺ) على أبى سيف القين وكان ظئرا – زوج مرضعته – لإبراهيم عليه السلام ، فأخذ رسول الله (ﷺ) ابراهيم فقبّله وشمه ، ثم دخلنا عليه بعد ذلك وإبراهيم يجود بنفسه فجعلت عينا رسول الله (ﷺ) تذرفان ، فقال له عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه : وأنت يا رسول الله ، فقال : يا ابن عوف إنها رحمة ثم اتبعها بأخرى ، فقال (ﷺ) : إن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يُرضى ربنا ، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون " (٣)

" وعن جابر بن عبد الله السَّلَمِيُّ قال : كان رسول الله (ﷺ) يعلم أصحابه الاستخارة فى الأمور كلها ، كما يُعلّم السورة من القرآن يقول:

---

(١) رواه احمد ٣ / ٤٠ ، المكتب الإسلامى ، بدون .

(٢)الحديث طويل : رواه احمد فى مسنده ٣ / ١٩ .

(٣) أخرجه البخارى : فى كتاب الجنائز : باب قول النبى (ﷺ) " إنا بك لمحزونون " ٣/ ١٣٥ ، دار إحياء التراث العربى ، ط ثانية ١٤٠٢ هـ .

إذا همّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ، ثم ليقل : اللهم إنى استخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسالك من فضلك فإنك تقدر ولا اقدر وتعلم ولا اعلم وأنت علام الغيوب ، اللهم فإن كنت تعلم هذا الامر ، ثم تسميه بعينه خيرا لى فى عاجل أمرى وأجله قال : أو فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى فاقدره لى ويسّره لى ثم بارك لى فيه ، اللهم وان كنت تعلم انه شر لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى او قال : فى عاجل أمرى وأجله فاصرفنى عنه ، واقدر لى الخير حيث كان ، ثم رضّنى به " (١) .

و " عن أبى سعيد الخُدرى رضى الله عنه قال : قال النبى (ﷺ) : إن الله يقول لأهل الجنة ، يا أهل الجنة : فيقولون : لبيك ربنا وسعديك والخير فى يديك ، فيقول : هل رضيتم ؟ فيقولون : وما لنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا مالم تعط أحدا من خلقك ، فيقول : ألا أعطيكم أفضل من ذلك : فيقولون : يا رب واى شئ افضل من ذلك ؟ فيقول : أحلُّ عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبدا " (٢) اللهم اجعلنا منهم .

وجاء فى الفتح : أن الرضا أفضل من كل شئ .. وافضل من العطاء .. فاللقاء مستلزم للرضا ، فهو اطلاق اللازم وارادة الملزوم .. ويحتمل أن المراد حصول أنواع الرضوان ومن جملتها اللقاء .. وفى الحديث: جواز إضافة المنزل لساكنه وإن لم يكن فى الأصل له ، فإن الجنة ملك الله عز وجل ، وقد أضافها لساكنها فى قوله (يا اهل الجنة) ، والحكمة فى ذكر دوام رضاه بعد الاستقرار أنه لو اخبر به قبل الاستقرار لكان خبرا من باب علم اليقين ، فأخبر به بعد الاستقرار ليكون من باب عين اليقين ... وفى الحديث : أن الخير كله والفضل والاغتباط إنما هو فى رضا الله سبحانه وتعالى ، وكل شئ ماعداه وإن اختلفت أنواعه فهو من أثره وفيه دليل على رضا كل من اهل الجنة بحاله مع اختلاف منازلهم ،

(١) أخرجه البخارى : فى كتاب التوحيد : باب " وكان الله سميعا بصيرا " ١٣/ ٣٢١ .
(٢) اخرجه البخارى : فى كتاب التوحيد : باب كلام الرب مع أهل الجنة ١٣ / ٤١٧ .

وتنويع درجاتهم ، لأن الكل أجابوا بلفظ واحد وهو : أعطيتنا مالم تعط أحدا من خلقك (١) ...

حديث آخر وأخير " أن رسول الله (ﷺ) قال : إن ثلاثة في بنى إسرائيل : ابرص وأعمى وأقرع بدى لله عز وجل أن يبتليهم ، فبعث اليهم ملَكا ، فأتى الأبرص فقال : أيُّ شئ أحبُّ إليك ؟ قال : لون حسن ، وجلد حسن ، قد قذرنى الناس ، قال : فمسحه فذهب عنه ، فأعطى لونا حسنا وجلدا حسنا ، فقال : وأى المال أحب إليك ؟ قال : الإبل أو قال: البقر ، هو شكَّ فى ذلك إن الأبرص والأقرع قال أحدهما الإبل ، وقال الآخر البقر ، فأعطى ناقة عُشَراء ، فقال : يبارك لك فيها وأتى الأقرع فقال : أى شئ أحبُّ إليك ؟ قال : شعْر حسن ، ويذهب هذا عنى قد قذرنى الناس ، قال : فمسحه فذهب ، وأعطى شعْرا حسنا ، قال : فأى المال أحب إليك قال البقر ، قال : فأعطاه بقرة حاملا ، وقال : يُبارك لك فيها ، وأتى الأعمى فقال : أى شئ أحب إليك ؟ قال : الغنم ، فأعطاه شاة والدا ، فأنتج هذان ، وولد هذا ، فكان لهذا واد من ابل ، ولهذا واد من بقر، ولهذا واد من الغنم ، ثم إنه أتى الأبرص فى صورته وهيئته فقال : رجل مسكين تقطعتْ به الحبال فى سفره ، فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك أسألك بالذى أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال ،بعيرا أتبلغ عليه فى سفري ، فقال له : إن الحقوق كثيرة ، فقال : له كأنى أعرفك ، ألم تكن أبرص يقذرك الناس ، فقيرا فأعطاك الله ، فقال : لقد ورثت لكابر عن كابر ، فقال : إن كنت كاذبا فصيَّرك الله إلى ما كنت . وأتى الأقرع فى صورته وهيئته فقال له : مثل ما قال لهذا ، فرد عليه مثل ما رد عليه هذا ، فقال : إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت . وأتى الأعمى فى صورته فقال : رجل مسكين ، وابن سبيل ، وتقطعت بىَ الحبالُ فى سفري ، فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك . أسألك بالذى رد عليك بصرك ، شاة أتبلغ بها في سفري ، فقال : قد كنت أعمى فرد الله بصرى ، وفقيرا

(١) انظر : فتح البارى : ابن حجر ١٢ / ٤١٨

فقد أغنانى ، فخذ ما شئت ، فوالله لا أحمدك اليوم بشئ أخذته لله .فقال : أمسك مالك ، فإنما ابتليتم ، فقد رُضى عنك وسخط على صاحبيك " (١)
وجملة أحاديث الرضا كثيرة وما سبق دليل عليها .

وجملة الأحاديث السابقة تذكر الرضا وموجباته ، وكذلك ثوابه عند الله عز وجل من ذلك مثلا : طعم الإيمان بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا ، وتذوق حلاوته ، والتسليم والاستسلام والانقياد لأوامر الله تبارك وتعالى فى قرآنه المجيد ، وكذلك التحكيم المطلق والتنفيذ الفورى لسنة رسوله (ﷺ) دون تباطء أو تسويف ، وكل ما جاء به الشرع الحكيم . إن الرضا بكل هذا يثمر حلاوة فى قلب المؤمن ، ولا يعرف ذلك إلا من ذاق ... ثم إن الرضا بحكم الله تعالى وقدره يجتنى منه غفران الذنوب والخطايا .. كما جاء فى حديث " من قال حين يسمع النداء الحديث .. ثم الحديث الذى رواه الإمام أحمد يفيد أن الله عز وجل يعطى الراضى عن الله تعالى كثيرا ويفتح له من أبواب الخير مالم يدر به ...

ومن موجبات الرضا وأسبابه أيضا : أن المسلم – وكذا المسلمة – إذا كان بطئ الغضب سريع الرضا فهو من خيرة الرجال .. وبهذا قرر وشهد رسول الله (ﷺ) " الا إن خير الرجال من كان بطئ الغضب سريع الرضا " الحديث .... وأن المسلم إذا ابتلى فى ماله وأهله وولده ، فصبر ولم يسخط ، ولم يجزع ، ولم يتقول بكلام جاهلى ، ورضى بما قدر الله تعالى، فإن هذا من أسباب رضى الله تعالى عنه ... اقتداء بفعل رسول الله (ﷺ) عند فقدان ولده ابراهيم " ولا نقول إلا ما يرضى ربنا " الحديث .. وأيضا : إذا هم بأمر واستخار الله جلت قدرته ، وكان ما كان فليرضى بما قسم الله جل جلاله ، وإذا رضى هيأ الله تعالى من أمره رشدا .. " ثم رضى به" الحديث ... ثم أعظم الجزاء فى الآخرة هو : أن يحمل ربنا

---

(١) أخرجه البخاري : فى كتاب أحاديث الأنبياء : باب ما ذكر عن بنى إسرائيل ٣٩١/٦ ، ٣٩٢ .

رضوانه على عباده الراضين وهذا الرضا دائم وأبدى فى جنة الفردوس " أحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبدا " الحديث ... وأيضا من أسبابه : عدم كفران النعم ، وشكر المنعم جل جلاله ، والتصدق والوفاء والرفق والصدق ،واكرام ابن السبيل الخ كما في الحديث الأخير .. الى غير ذلك من صور وتحدد طرق الوصول إلى درجات الرضا ...

الرضا والمعاصي :

إن كراهية المعاصى وبغضها ، وعدم الرضا بها من صلب الإيمان بالرضا ، وكذلك بغض أصحاب الفسق والفجور ، وأهل الشرك والكفر ، وإذا قيل إن هذا من قضاء الله تعالى وقدره ، فإن صاحب هذا الإدعاء إما مختل العقل ، أو ناقص العلم والمعرفة ، وهو فكر بليد . بل ان إنكار المعاصى وبغضها ، وعدم الرضا بها ، إن هذا مما تعبدنا الله تعالى به ، وقد ذم الله عز وجل الرضا بهذه الآثام والملوثات الفكرية . قال تعالى : ﴿ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ (١) وقال عز وجل : ﴿ وَرَضُواْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّواْ بِهَا ﴾ (٢) ، فبغض الكفار والفجار ومقتهم وعدم الرضا بما هم فيه متلبسون ، من الإيمان بالله تبارك وتعالى ، بل من الحب فى الله والبغض فى الله تعالى ، والرضا عن الله عز وجل . قال الإمام الغزالى (ولا يخرج صاحب الرضا عن مقام الرضا : كراهية المعاصى ومقت أهلها ، ومقت أسبابها ، والسعى فى إزالتها ، بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وقد غلط فى ذلك بعض البطالين المغترين وزعم أن المعاصى والفجور والكفر من قضاء الله وقدره عز وجل فيجب الرضا به. وهذا جهل بالتاويل وغفلة عن أسرار الشرع) (٣) وهذه النقطة تتعلق بها نقطة أخرى تزيدها وضوحا وهى :

---

(١) سورة التوبة : اية رقم : ٨٧ .

(٢) سورة يونس : اية رقم : ٧ .

(٣) احياء علوم الدين : الغزالى ٤/ ٣٠٠

الرضا والقضاء :

إن الإيمان بالقضاء والقدر من عقيدة المسلمين الأصيلة ، ومن لا يؤمن بالقضاء والقدر فليس من الإسلام في شئ ، ونجد علاقة وثيقة وأصيلة بين الرضا والقضاء والقدر ، حيث إن الرضا من صلب الإيمان...ولا بأس بالمشي خطوات في ركب العلماء في هذه القضية ، ونصدر الكلام بحديث سيد الأنام سيدنا محمد (ﷺ) عندما جاءه سيدنا جبريل يسأله عن أمور الإسلام وفي الحديث : " ... ما الإيمان ؟ قال : الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث ... " (١) الحديث وفي روايات أخري ذكرها ابن حجر (وتؤمن بالقدر كله خيره وشره حلوه ومره)(٢)

قال ابن القيم (اختيار الرب تعالى لعبده نوعان : أحدهما : اختيار ديني شرعي . فالواجب على العبد أن لا يختار في هذا النوع ما اختاره له سيده ، قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ (٣) فاختيار العبد خلاف ذلك مناف لإيمانه وتسليمه ، ورضاه بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا النوع الثاني : اختيار كوني قدري ، لا يسخطه الرب ، كالمصائب التي يبتلي الله بها عبده، فهذا لا يضره فراره منها إلى القدر الذي يرفعها عنه ، ويدفعها ويكشفها ، وليس في ذلك منازعة للربوبية ، وإن كان به منازعة للقدر بالقدر ... وأما القدر الذي لا يحبه ولا يرضاه مثل قدر المصائب والذنوب فالعبد مأمور بسخطها ، ومنهي عن الرضى بها)(٤) ثم ذكر وأطال الخلاف حول هذه القضية ثم قال في النهاية (قد أنكر الله سبحانه وتعالى على من جعل مشيئته وقضاءه مستلزمان لمحبته ورضاه ، فكيف بمن

(١) أخرجه البخاري : في كتاب الإيمان : باب سؤال جبريل النبي (ﷺ) عن الإيمان ٩٤/١ .
(٢) فتح الباري : ابن حجر ٩٧/١ .
(٣) سورة الأحزاب : آية رقم : ٣٦ .
(٤) مدارج السالكين ٢ / ١٨٨ .

جعل ذلك شيئا واحدا ؟ ! قال الله تعالى : ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاء اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم حَتَّى ذَاقُواْ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إَلاَّ تَخْرُصُونَ﴾ (١) فهم استدلوا على محبته لشركهم ورضاه عنه بمشيئته لذلك ، وعارضوا بهذا الدليل أمره ونهيه ، وفيه أبين الرد لقول من جعل مشيئته غير محبته ورضاه ، فالإشكال إنما نشأ من جعلهم المشيئة نفس المحبة ، ثم زادوه بجعلهم الفعل نفس المفعول ، والقضاء عين المقضى ، فنشأ من ذلك إلزامهم بكونه تعالى راضيا محبا لذلك ، والتزام رضاهم به ...

والذى يكشف هذه الغمة ، ويبصر من هذه العماية ، وينجى من هذه الورطة : إنما هو التفريق بين ما فرق الله بينه ، وهو المشيئة والمحبة ، فإنهما ليسا واحدا ، ولاهما متلازمين ، بل قد يشاء مالا يحبه ، ويحب مالا يشاء كونه ، واحدا ،

فالأول : كمشيئته لوجود إبليس وجنوده ، ومشيئته العامة لجميع ما فى الكون مع بغضه لبعضه . والثانى : محبته إيمان الكفار ، وطاعات الفجار ، وعدل الظالمين ، وتوبة الفاسقين ، ولو شاء ذلك لوجد كله ، وكان جميعه ، فإنه ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، فإذا تقرر هذا الأصل ، وأن الفعل غير المفعول ، والقضاء غير المقضى ، وأن الله سبحانه لم يأمر عباده بالرضى بكل ما خلقه وشاءه ؛ زالت الشبهات ، وانحلت الإشكالات ، ولله الحمد ، ولم يبق بين شرع الرب وقدره تناقض ، بحيث يظن إبطال أحدهما للآخر ، بل القدر ينصر الشرع والشرع يصدق القدر ، وكل منهما يحقق الآخر ...

إذا عرف هذا : فالرضى بالقضاء الدينى الشرعى واجب ، وهو أساس الإسلام ، وقاعدة الإيمان ، فيجب على العبد أن يكون راضيا به بلا

(١) سورة الأنعام : آية رقم : ١٤٨ .

حرج ، ولا منازعة ولا معارضة ولا اعتراض ... ومتى خالط القلب بشاشة الإيمان ، واكتحلت بصيرته بحقيقة اليقين ، وحى بروح الوحى ، وتمهدت طبيعته ، وانقلبت النفس الأمارة مطمئنة راضية وادعة ، وتلقى احكام الرب تعالى بصدر واسع منشرح مسلم ، فقد رضى كل الرضى بالقضاء الدينى المحبوب لله ورسوله) (١)

وهناك مسألة أخرى وهى الدعاء ، فالرضا بالقضاء لا ينافى الدعاء بجميع صيغه المشروعة ، وفى الأحوال المشروعة . فإذا كان الله عز وجل أمرنا بالرضا بالقضاء ، فإنه سبحانه قد أمرنا بالدعاء ، ويستحيل التناقض بين الأمرين ولو كان الدعاء لا يجدي ما أمرنا الله عز وجل به ، وقد أمر الله تبارك وتعالى جميع الأنبياء والمرسلين وهم صفوة خلقه بالدعاء ، وقد استجاب الله تعالى لهم ....

موجبات الرضا :

ولتحقيق مقام الرضا سلم يصعد الراغب للوصول عليه ، ذكرها جلة من العلماء ، وللإيجاز أذكر ما قاله ابن القيم ، وقد ذكر من موجبات الرضا ووصل بها إلى إحدى وستين موجبا ، أتناول بعضها باختصار :

أحدها : أنه - العبد - مفوض ، والمفوض راض بكل ما اختاره له مَنْ فوض إليه ، ولا سيما إذا علم كمال حكمته ورحمته ، ولطفه وحسن اختياره .

الثانى : أنه جازم بأنه لا تبديل لكلمات الله ، ولا راد لحكمه ، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، فهو يعلم أن كلا من البلية والنعمة بقضاء سابق وقدر محتم .

---

(١) مدارج السالكين ٢ / ١٩١ وما بعدها ، وانظر : احياء علوم الدين ، الغزالى ٤/ ٣٠٢ ، وانظر : فتح البارى : ابن حجر ١ / ٩٧ . وانظر : التوحيد د / مبارك حسين ص ٤٨٢ ، مطبعة الإيمان ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٢ م .

الثالث : أنه عبد محض ، والعبد المحض لا يسخط جريان أحكام سيده المشفق البار الناصح المحسن ، بل يتلقاها كلها بالرضى به وعنه .

الرابع : أنه محب ، والمحب الصادق : من رضى بما يعامله به حبيبه

الخامس : أنه جاهل بعواقب الأمور ، وسيده أعلم بمصلحته ، وبما ينفعه .

السادس : أنه لا يريد مصلحة نفسه من كل وجه ، ولو عرف أسبابها ، فهو جاهل ظالم ، وربه تعالى يريد مصلحته ، ويسوق إليه أسبابها ومن أعظم أسبابها ما يكرهه العبد قال تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ (١) وقال تعالى : ﴿ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (٢)

السابع : أنه مسلم ، والمسلم من سلم نفسه لله تعالى ، ولم يعترض عليه في جريان أحكامه عليه ، ولم يسخط ذلك .

الثامن : أنه عارف بربه ، حسن الظن به ، لا يتهمه فيما يجريه عليه من أقضيته وأقداره ، فحسن ظنه به يوجب له استواء الحالات عنده ، ورضاه بما يختاره له سيده سبحانه .

التاسع : أنه يعلم أن حظه من المقدور ما يتلقاه به من رضى وسخط ، فلابد له منه ، فإن رضى فله الرضى ، وإن سخط فله السخط .

العاشر : علمه بأنه إذا رضى انقلب في حقه نعمة ومنحة ، وخف عليه - اه ، وأعين عليه ، وإذا سخطه تضاعف عليه ثقله ، وكلّه ، ولم يزده إلا شدة ...

---

(١) سورة البقرة : آية رقم : ٢١٦ .

(٢) سورة النساء : آية رقم : ١٩ .

الحادى عشر : أن يعلم أن تمام عبوديته فى جريان ما يكرهه من الأحكام عليه ، ولم لم يجر عليه منها إلا ما يحب لكان أبعد شئ عن عبوديته ربه ... فليس الشأن فى الرضى بالقضاء الملائم للطبيعة ، إنما الشأن فى القضاء المؤلم المنافر للطبع .

الثانى عشر : أن يعلم أن رضاه عن ربه سبحانه وتعالى فى جميع الحالات يثمر رضى ربه عنه ، فإذا رضى منه بالقليل من الرزق ، رضى ربه عنه بالقليل من العمل ...

الثالث عشر : أن يعلم أن أعظم راحته وسروره ونعيمه فى الرضى عن ربه تعالى فى جميع الحالات ، فإنه الرضى باب الله الأعظم ، ومستراح العارفين ، وجنة الدنيا ...

الرابع عشر : أن السخط – وهو نقيض الرضا – باب الهم والغم والحزن ، وشتات القلب ، وكشف البال وسوء الحال ، والظن بالله خلاف ما هو أهله . والرضى يخلصه من ذلك كله ، ويفتح له باب جنة الدنيا قبل جنة الآخرة .

الخامس عشر : أن الرضى يوجب له : الطمأنينة ، وبرد القلب، وسكونه وقراره .

السادس عشر : أن الرضى ينزل عليه السكينة التى لا أنفع له منها ، ومتى نزلت عليه السكينة : استقام ، وصلحت احواله ، وصلح باله ... وإذا ترحلت السكينة عنه ترحل عنه السرور والأمن والدعة والراحة ، وطيب العيش ، فمن أعظم نعم الله على عبده تنزل السكينة عليه ، ومن أعظم أسبابها : الرضى عنه فى جميع الحالات

السابع عشر : أن الرضى يفتح له باب السلامة ، فيجعل قلبه سليما نقيامن الغش والدّغل والغل ، ولا ينجو من عذاب الله إلا من أتى الله بقلب سليم ... وسلامة القلب قرين الرضى ... وسلامة القلب من ثمرات الرضى .

الثامن عشر : أن السخط يوجب تلون العبد ، وعدم ثباته مع الله ، فإنه لا يرضى إلا بما يلائم طبعه ونفسه ، والمقادير تجرى دائما بما يلائمه وبما لا يلائمه ....

التاسع عشر : أن السخط يفتح عليه باب الشك في الله وقضائه وقدره وحكمته وعدله ، فقلّ أن يسلَم الساخط من شك يداخل قلبه ويتغلغل فيه ، وإن كان لا يشعر به ، فلو فتش نفسه غاية التفتيش لوجد يقينه معلولا مدخولا ، فإن الرضى واليقين أخوان مصطحبان ، والشك والسخط قرينان ...

العشرون : أن الرضى بالمقدور من سعادة ابن آدم ، وسخطه من شقاوته ...

الحادي والعشرون : أن الرضى يوجب له أن لا يأسى على ما فاته ، ولا يفرح بما آتاه ، وذلك من أفضل الإيمان .

الثاني والعشرون : أنه من ملأ قلبه من الرضى بالقدر : ملأ الله صدره غنى وأمنا وقناعة ، وفرغ قلبه لمحبته ، والإنابة إليه ، والتوكل عليه . ومن فاته حظه من الرضى : امتلأ قلبه بضد ذلك ، واشتغل عما فيه سعادته وفلاحه . فالرضى يفرغ القلب لله ، والسخط يفرغ القلب من الله .

الثالث والعشرون : أن الرضى يثمر الشكر الذي هو أعلى مقامات الإيمان ، والسخط يثمر ضده ، وهو كفر النعم ، وربما أثمر له كفر المنعم ...

الرابع والعشرون : أن الرضا ينفي عنه آفات الحرص والكلب على الدنيا ، وذلك رأس كل خطيئة ، وأصل كل بلية ، وأساس كل رزية..

الخامس والعشرون : أن الشيطان إنما يظفر بالإنسان غالبا عند السخط والشهوة ، فهناك يصطاده ... ويقول مالا يرضى الرب ، ويفعل

مالا يرضيه ، وينوى مالا يرضيه ، ولهذا قال النبى (ﷺ) عند موت ابنه ابراهيم "يحزن القلب ، وتدمع العين ، ولا نقول إلا ما يرضى الرب" ....

السادس والعشرون : أن الرضى هو : اختيار ما اختاره الله لعبده ، والسخط كراهية ما اختاره الله تعالى له .

السابع والعشرون : أن الرضى يخرج الهوى من القلب ، فالراضى هواه تبع لمراد ربه منه . فلا يجتمع الرضى واتباع الهوى فى القلب أبدا ...

الثامن عشر : أن الرضى عن الله فى جميع الحالات يثمر للعبد رضى الله عنه ... فإن الجزاء من جنس العمل ...

التاسع والعشرون : أن الرضى بالقضاء اشق شئ على النفس... فإنه مخالفة هواها وطبعها وإرادتها ، ولا تصير مطمئنة قط حتى ترضى بالقضاء فحينئذ تستحق أن يقال لها ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾ (١)

الثلاثون : أن الراضى متلقى أوامر ربه – الدينية والقدرية – بالانشراح والتسليم ، وطيب النفس والاستسلام . والساخط يتلقاها بضد ذلك ...

الحادى والثلاثون : أن المخالفات كلها أصلها من عدم الرضى ، والطاعات كلها أصلها من الرضى ...

الثاني والثلاثون : أن عدم الرضى يفتح باب البدعة ، والرضى يغلق ذلك الباب ...

الثالث والثلاثون : أن الرضى معقد نظام الدين كله ظاهره وباطنه ...

(١) سورة الفجر : الآيتان ٢٧ – ٣٠ .

الرابع والثلاثون : أن الرضى يخلص العبد من مخاصمة الرب تعالى فى أحكامه وأقضيته .

الخامس والثلاثون : أن جميع ما فى الكون أوجبته مشيئة الله تعالى وحكمته وملكه ... فمن لم يرض بما رضى به ربه ، لم يرض بأسمائه وصفاته ، فلم يرض به ربا .

السادس والثلاثون : أن كل قدر يكرهه العبد ولا يلائمه لا يخلو إما أن يكون عقوبة على الذنب ، فهو دواء لمرض ، لولا تدارك الحكيم إياه بالدواء لترامى به المرض إلى الهلاك ، أو يكون سببا لنعمة لا تنال إلا بذلك المكروه . فالمكروه ينقطع ويتلاشى ، وما يترتب عليه من النعمة دائم لا ينقطع ، فإذا شهد العبد هذين الأمرين انفتح له باب الرضى عن ربه فى كل ما يقضيه له ويقدره .

السابع والثلاثون : أن حكم الرب تعالى ماض فى عبده ، وقضاؤه عدل فيه .. ومن لم يرض بالعدل فهو من أهل الظلم والجور ..

الثامن والثلاثون : أن الرضى : أن يتيقن العبد : أن ما أخطأه لم يكن ليصيبه ، وما أصابه لم يكن ليخطئه ، فلا فائدة فى سخطه بعد ذلك ...

التاسع والثلاثون : أن الرضى من أعمال القلوب ، نظير الجهاد من أعمال الجوارح فإن كل منهما ذروة سنام الإيمان ، قال أبو الدرداء: (ذروة سنام الإيمان : الصبر للحكم ، والرضى بالقدر) .

الأربعون : أن أول معصية عُصى الله بها فى العالم إنما نشأت من عدم الرضى فإبليس لم يرض بحكم الله الذى حكم به كونا من تفضيل وتكريم ، ولا بحكمه الدينى من أمره بالسجود لآدم ... (١) وأخذ ابن القيم

---

(١) مدارج السالكين ، ابن القيم ٢ / ٢٠٥ وما بعدها .

يذكر موجبات الرضا وأسبابه وثماره إلى أن بلغ بضعاً وستين فائدة ولولا خوف الإطالة لذكرتها كلها بشروحها (١) .

حكايات عن الراضين وأقوالهم :

إن الرضا ليس وهما أو خيالا لا يتصوره العقل ، وليس الرضا من الأمور المستحيلة التطبيق والتنفيذ ، بل هو واقع وملموس ، وسهل الوصول إليه لمن أراده ، ولقد حققه وطبقه الأنبياء والمرسلون ، وصار على دربهم الصالحون ، ونتناول بعض قصصهم وأقوالهم حول الرضا ستجد ما يسرك ، ويشرح صدرك ، وسوف ينقلب همك إلى فرج ، وحزنك الى سرور ، وقلقك إلى طمأنينة ، وفزعك إلى أمن ، وعسرك إلى يسر ، وضيقك إلى سعة ، وفقرك إلى غنى وترددك إلى يقين ، وكدك إلى راحة ، وسترى الحياة بعين الرضا والأمل ... وبذلك تجدد حياتك ، وكذلك دينك ، وتتغير الأمور كلها من سالبة إلى موجبة مهما كان البلاء ...

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : ما أبالى على أى حال أصبحت وأمسيت من شدة أو رخاء .

وقال يوما لامرأته عاتكة – وقد غضب عليها – : والله لأسوائك ، فقالت : اتستطيع أن تصرفنى عن الاسلام بعد إذ هدانى الله ؟ قال : لا ، فقالت : فأى شئ تسوءنى به إذا ! ؟ تريد أنها راضية بمواقع القدر ، لا يسوءها منه شئ إلا صرفها عن الاسلام ، وقال الثورى يوما عند رابعة : اللهم ارض عنا ، فقالت : أما تستحى أن تسأله الرضى عنك ، وأنت غير راض عنه ؟ فقال : استغفر الله ، ثم قال لها جعفر بن سليمان : متى يكون العبد راضيا عن الله ؟ فقالت : إذا كان سروره بالمصيبة مثل سروره بالنعمة . وقيل اكثر الناس همًا بالدنيا اكثرهم هما فى الآخرة ، وأقلهم

(١) انظر : المرجع السابق : الجزء والصفحات نفسها ، وما بعدها للمزيد

هما بالدنيا اقلهم هما فى الآخرة ، فالإيمان بالقدر ، والرضى به : يذهب عن العبد الهم والغم والحزن (١)

وقال ابن مسعود : الفقر والغنى مطيتان ما أبالى أيهما ركبت ، إن كان الفقر فإن فيه الصبر ، وإن كان الغنى فإن فيه البذل (٢)

وقال عمر بن عبد العزيز : مالى فى الأمور كلها هوى سوى مواقع قضاء الله وقدره (٣) وزرع رجل من أهل الطائف زرعا ، فلما بلغ واستوى أصابته آفة فاحترق ، فدخل الناس عليه يواسونه ، فبكى وقال: والله ما عليه ابكى ، ولكنى سمعت الله يقول ﴿ كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ﴾ (٤) ، فأخاف ان أكون من هذه الصفة، فذلك الذى أبكانى (٥) . وسئل ابن المبارك حين ماتت زوجته عن الرضا . فقال : الراضى لا يتمنى خلاف حاله (٦) . وقال بشر قصدت عبادان فى بدايتى ، فإذا برجل اعمى مجذوم قد صرع ، فرفعت رأسه فوضعته فى حجرى ، وأنا أردد الكلام ، فلما أفاق قال : من هذا الفضولى الذى يدخل بينى وبين ربى ، لو قطعنى إربا ما ازددت إلا حبا ، قال بشر : فما رأيت بعد ذلك نقمة بين عبد وبين ربه فانكرتها .

بل فى القرآن ما هو أبلغ من ذلك ، وهو قطع النسوة أيديهن لاستهتارهن بملاحظة جماله ، حتى ما أحسسن بذلك.. ويروى عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما أنه اشتكى له ابن ، فاشتد وجده عليه، حتى قال بعض القوم : لقد خشينا على هذا الشيخ إن حدث بهذا الغلام

---

(١) انظر : مدارج السالكين ٢ / ٢٢١ .

(٢) انظر : المرجع السابق ٢ / ٢٢٠ .

(٣) انظر: الرضا عن الله ، ابن أبى الدنيا ، ص ٤٧ .

(٤) سورة آل عمران : آية رقم : ١١٧ .

(٥) انظر : الرضا عن الله : ص ٤٨ .

(٦) انظر : المرجع السابق : ص ٥٧ .

حدث ، فمات الغلام فخرج ابن عمر فى جنازته ، وما رجل اشد سرورا منه ، فقيل له فى ذلك فقال : ابن عمر : إنما كان حزنى رحمة له ، فلما وقع أمر الله ، رضينا به (١) وقال ابو على الدقاق : ليس الرضا أن لا تحس بالبلاء ، إنما الرضا أن لا تعترض على الحكم والقضاء ،(٢) وقال الفضيل بن عياض : الرضا افضل من الزهد فى الدنيا ، لأن الراضى لا يتمنى فوق منزلته ، وقال ابو على الدقاق : غضب رجل على عبد له فاستشفع العبد إلى سيده إنسانا فعفا عنه ، فأخذ العبد يبكي فقال له الشفيع : لم تبكى وقد عفا عنك سيدك ؟ فقال السيد : إنه يطلب الرضا منى ولا سبيل إليه، فإنما يبكى لأجله (٣) وعن سفيان الثورى قال : كنا نعود زبيد اليامى فنقول : استشفى الله تعالى ، فيقول : اللهم خِرْلى ، اللهم خرلى (٤)

ومن كلام سيدنا عمر بن عبد العزيز : لقد تركتنى هؤلاء الدعوات ، وما لى فى شئ من الأمور كلها إِرْب إلا فى مواقع قدر الله تعالى، وكان كثيرا يدعو بها ويقول : اللهم رضنى بقضائك ، وبارك لى فى قدرك حتى لا أحب تعجيل شئ أخرته أو تأخير شئ عجلته . وقال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما : إن الرجل ليستخير الله فيختار له فيتسخط على ربه ، فلا يلبث أن ينظر فى العاقبة ، فإذا هو قد خير له(٥) وعن عامر بن قيس قال : ما أبالى ما فاتنى من الدنيا بعد آيات فى كتاب الله تعالى قوله : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ (٦) ، وقوله تعالى : ﴿ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلاَ مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلاَ مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ﴾ (٧) ، وقوله

---

(١) انظر : إحياء علوم الدين ، الغزالى ٤/ ٣٦٨ .

(٢) انظر : الرسالة القشيرية : ص ٨٩ ، دار الكتاب العربى .

(٣) انظر : المرجع السابق : ص ٩٠

(٤) انظر : الرضا عن الله : ابن أبى الدنيا : ص ٧٥

(٥) انظر : المرجع السابق : ص ٨٠ ، ٨٦ .

(٦) سورة هود : آية رقم : ٦ .

(٧) سورة فاطر : آية رقم : ٢ .

تعالى : ﴿ إِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١) (٢)

هذا وفى كتاب مدارج السالكين لابن القيم ، والإحياء للغزالى ، وكتاب الرضا عن الله لابن ابى الدنيا عشرات بل مئات القصص والأقوال عن الرضا والراضين ، ولولا خوف الإطالة لمضيت فى ذكرها ، ولكن ما سبق يدل على ما بقى ....

الرضا والصحة النفسية :

هناك جيوش كثيرة وكثيفة من البشر يعانون من أمراض نفسية واجتماعية خطيرة ، وقد صار المشتغلون بالصحة النفسية فى معالجة هؤلاء ، ووضع الخطط الوقائية من الأمراض النفسية والاجتماعية ... وهناك قسمان من الناس كلاهما يعانى من أمراض نفسية : من صراع نفسى ، واضطراب فكرى ، وقلق وأرق ، وتبرم وهم وغم ، وعدم رضا قلبى : فالفريق الأول : انطلق فى جموح وجنوح الى محاولة إشباع رغباته وشهواته ، ومحاولة امتلاك كل شئ ، ولو ملك الدنيا بما فيها ما قنع ، وما توقف عند حد ... وهذه النوعية لكى تحقق مآربها ، وتشبع هواها ، ليس لديها أدنى إيمان بقيمة من القيم مثل : المروءة والرحمة والمودة والعطف والعدل والرضا والمحبة ، وحق زميله أو أخيه فى الإنسانية والحياة والحقوق ، وهؤلاء بهذه النظرة المادية البحتة تراهم فى الظاهر راضين ، وفى حالة ارتياح ، قد يبدو هذا على الأقل مرسوما وموسوما به وجوههم أو هكذا يراهم غيرهم ... لكنهم فى الحقيقة قلوبهم ممزقة ، وعيونهم مكدودة ، وفكرهم مختل ، والصراع النفسى مغروز ومخزون فى أعماق أعماق قلوبهم ، فأفئدتهم كامن فى داخلها نار محرقة ومشتعلة دائما عليهم ، وذلك راجع لسببين رئيسين : السبب الاول:

---

(١) سورة الأنعام : آية رقم : ١٧ .

(٢) انظر : الرضا عن الله ، ابن أبى الدنيا ص ١١٨

أنهم فى صراع دائم مع الآخرين للحصول على اكبر قدر ممكن من المادة محاولة اشباع نفوسهم ، واطفاء النار المستعرة بداخلها من طمع وجشع وأنانية ، وحب الذات ، وهنا يمتطى الشيطان ظهورهم ويستحمرهم ويلهبهم بسياط الرغبة فى الزيادة ، والمضى قدما فى هذا النفق المظلم، ثم يزين لهم أن امتلاك الثروة هو فى نهاية المطاف يحقق لهم كل الرغبات من سطوة وسلطة ، وجاه وقوة ، ومن ثمّ سينقاد له خوفا من بطشه وجبروته اكثر الناس ، وبعضهم ينقاد له نفاقا وتزلفا .. لكن فى النهاية سوف يقوده شيطانه وهواه ،وطموحه وجموحه إلى الهاوية ، وسوء المصير ، من تدمير نفسى ، وقلق قلبى ، وتوتر عصبى ، وعدم القدرة على تحصيل حالة الانسجام القلبى ، والرضا النفسى ، والسعادة ، وهذا المطلب الأول والأخير الذى يسعى اليه عقلاء الدنيا ، والسبب الآخر : وهو قلق هذه النوعية من البشر ، من قلق وفزع ، واضطرابات نفسية ، الخوف الدائم ، والارق والقلق المستمر من ضياع هذه المادة الذى وطأ – وهو يلهث وراء جمعها – كل القلوب ، وكسر كل فؤاد قابله فى الطريق ، وحطم مجموعة من القيم ، بل كل القيم فى سبيل تحقيق مآربه الرخيصة ، وهذا الخوف والقلق يجعله لا يستقر فى مقام ولا يهدأ له بال ، ولا تستريح له نفس ، والناس كل الناس له أعداء، والخوف كل الخوف بكل اطيافه من الهجوم عليه فى أية لحظة ، هذا الشعور الذى لا يفارقه ليلا ولا نهارا يجعله يعيش فى هذا الصراع المدمر الذى يعكتن عليه حياته بكل مفرداتها ، ومن ثمّ يرحل الرضا عنه ، ويودعه وداعا لالقاء بعده ...

والقسم الثانى : هو الذى يوافق على الدون من العيش ، ومطالب الحياة، ويركن إلى الخمول والكسل والتواكل ، ويرضى بما تبقى من موائد الـ ام ، وينزوى فى احدى زوايا الإهمال ، ويتوارى وراء جدر النسيان ، وينزل فى جب عميق يجتر حظه ، يلطم خده ، ويلوك لسانه بعد فؤاده المملوء حقدا وحسدا وبغضا وكراهية من هؤلاء الزملاء أو الشركاء له فى الإنسانية الذين حرموه الحاجات الضرورية فى مشوار حياته سواء أكانت حاجات مادية أم حاجات نفسية ، وهؤلاء ايضا تركهم الرضا القلبى ، والطمانينة النفسية ، وإن بدا للناس – فى الظاهر – أنهم راضون ،

لكنهم فى الحقيقة أوجعهم التبرم والسخط ، والهم والغم ، والقلق والصراع من جراء أحوالهم وظروفهم النكدة المحيطة بهم ...

إذا : فلا القسم الأول حظى بالرضا ، ولا القسم الثانى عاش راضيا ، ولما استفحلت المشاكل وأصبح التبرم والسخط ضاربا أنيابه الضرسة فى ربوع الناس ، وصار السخط ظاهرة نفسية اجتماعية ، ذهب المشتغلون بالصحة النفسية يبحثون عن العلل والأدوية التى تعالج هذه الأمراض القاتلة ، وهذه العلل التى تنتقل عدواها من جيل إلى جيل ، ومتى يكون الإنسان راضيا – وليس كل الرضا عندهم – بل على الأقل متى يتوفر الإحساس بالرضا ، حتى تنجلى الغمة ، ويستريح البال عند الجماهير ...ويذكر المهتمون بالصحة الفسية عدة اسباب تؤدى إلى التبرم والقلق والتوتر والأرق والحقد والحسد ، ولا باس بذكر وجهة نظرهم – مادام من المشتغلين بالصحة النفسية من علماء المسلمين وهى مقبولة عندنا أيضا – من هذه الأسباب :

مواقف العجز التى يمر بها الإنسان ، حيث يجد نفسه لا يقوى على فعل أى شئ وتنحصر اماله المستقبلية ، وحياته الأنية تعبث بها أيادى خفية ، تسيره كما تشاء ، وتذهب به أينما تريد ... ثم يجتر أحزانه على ما مضى ... كذلك انعدام الحرية بكل معانيها وأنواعها ... وإحساسة بأنه ريشة فى مهب ريح عاتية قاصفة قاصمة ... وأيضا شعور الإنسان بتحوله إلى آلة صماء لا يقوى على التفاعل مع الاخرين من أخذ وعطاء وفهم ووعى بقيمة الآخرين ، وهنا تحدث فجوات عميقة ، وخنادق متعددة وغائرة ... ويضيع الوصول والاتصال .. وأيضا عدم الوضوح لنظام العلاقات الاجتماعية ، كذلك : عندما يدرك الإنسان ويرى انواع الحياة المختلفة ، أنه يغلب عليها طابع النفاق والتزلف ، ولن يصل إلى مرغوبه إلا بهذه الأمراض اللعينة ، ولو على جثث ورفات الاخرين ، دون أدنى وجل ... وأيضا يشعر الإنسان بان الناس قد اقتنعوا بحب الذات والأنانية ، وإيثار المصالح الخاصة على المصالح العامة ، حتى ولو كانت فى

الدفاع عن الشرف والدين والوطن ... وأيضا : عند الاحساس بأن القدوة الصالحة انعدمت ، وإن وجدت فقد اصبحت من أسوأ ما يمكن ، وتتدرج انتشارها وانتقال عدواها من أعلى إلى أدنى ، وقد يكون العكس، ويعجز المصلحون على وقف هذا التيار الجارف المن ... وأيضا : ضياع القيم النبيلة ، والأخلاق الحميدة والفضائل الطيبة مثل الرحمة والمودة ، والتعاون ، والتكامل ، والمروءة ، والنجدة ... وانحصار الذوق الرفيع وتهميشه ، وضياع الحياء ، وحل محل كل ذلك قيم مستغربة ، ومبادئ بالية مستهجنة ، وسلوك مشين ، وتوارت وراء هذا الكم الكثيف الفاسد المتراكم والمركب ... وظهرت وتفشت : الغاية تبرر الوسيلة ، وكذلك ويل للمغلوب من الغالب إلى اخر هذه الفضائح المخزية والمحزنة ، ... كذلك : الوعود الوردية المغلفة والمخدرة ، والتى لا يجنى من ورائها الا التبرم والسخط ، وينسحب الناس من ميدان العمل الجاد الشريف ، والانطلاق الى ميادين العزة والكرامة والصدق والوفاء والثقة بالآخرين ، وظهرت نتيجة ذلك : عدم المبالاة وطفى على السطح ، وانقلبت الموازين ، وانكسر الخاطر ، وطاح الغشم ، واستبد فى دنيا الناس ، وساد الظلم وانتشى ، ورسم على وجوه الناس تقضيب الجبين والنكر ، وحل السواد محل البياض والسخط والتبرم محل الرضا ، والحزن مكان البهجة ، وقتل الامل ، وضاع الوفاء ، وولى الرجاء ، وهبت عواصف عاتية مدمرة على بلاد الشرق الإسلامى بماسلب من تحت قدميه الارضية والخلفية النقية المثمرة اينع الثمار ... وعندما سلبوا ذلك منه فقد تم تصدير أو جعلوه يقوم بنفسه باستيراد الامراض النفسية السخيمة والسخيفة ، والتى كادت أن تهلك الحرث والنسل .... ويحاول العلماء المشتغلون بالصحة النفسية أن يضعوا حلولا لهذا الجو السائد الكئيب فقالوا : لكى يعيش الإنسان فى حالة رضا مع نفسه ومع الآخرين من حوله ، فينبغى إعطاء الفرد الفرصة لكى يطلق القوى الحبسة فى ذاته سواء أكانت حاجات عضوية أم نفسية لكى تتوحد لديه هذه القوى ، فيصير قوله مواكبا لسلوكه ووجدانه وعقيدته ، وكذلك مريد العون ، وتمهيد كل السبل على مساعدة الإنسان لتحقيق رسالته التى تعتمد على الحب والمودة ،

والتفاعل من خلال المشاركة الفعالة فى تحقيق المطالب النبيلة ، وكذلك العمل على ترسيخ الكراهية ، وتشديد النكير للخلال غير الحميدة من كراهية وحقد وبغض وظلم ، وذلك ينعكس على النفس بشعور الاخوة، وكذلك على الإنسان أن يهذب سلوكياته ، ويدافع عن قيمه واخلاقه مهما كانت النداءات المادية عالية الصوت ، صاخبة الإيقاع منمقة بزينة مزيفة، وايضا العمل الدؤب على جبر خاطر الانسان ، وعدم إحراجه وخاصة فى ضرورياته الملحة والعاجلة ، وايضا إعطاء الحرية لإثبات ذاته والقدرة على المطالبة بالحقوق وايضا رفع الظلم بكل آثامه وآثاره عن المظلومين، وسد حاجات المحتاجين (١)

وهكذا فإن المشتغلين فى حقل الصحة النفسية من المسلمين يبحثون عن العوامل المؤدية لرضا الإنسان وسعادته ، وذلك يبرز مدى أهمية أن يعيش الانسان منسجما راضيا ، أما علماء النفس الغربيين فإنهم ايضا يفعلون الاعاجيب لمحاولة ان يعيش الانسان فى سعادة ورضا لكن لهم طرق خبيثة وكدرة ولا تحقق السعادة والرضا بحال بل تزيد الطين بلة ... لأن امراضهم وعللهم خبيثة وادويتهم معطوبة ومغشوشة ....

أما بعد تلك كانت سياحة فى بحار الرضا ، ونزهة فى رياضه اليانعة ، وبستانه الباسق ، وفيها اطمأن القلب ، ورسا على شاطئ الامان، واستنشق أريجه ، وجدد الأمل ، وبث الهمة ، وجدد الدين والعقيدة ورواها بماء من عين سلسبيل ... ومن فضل الله عز وجل أن ساق إلينا هذا الترياق الشافى والمعافى والذى لا نظير له فى دنيا البشر . الا وهو الرضا . ولا عجب فهو منهاج رب العالمين ، الرحمن الرحيم الذى يحب عباده الموحدين ، ويفتح لهم باب الرضا ... فالسعادة كل السعادة فى الدنيا والآخرة لمن ت‍ ع رضوان الله عز وجل ، ومنهاجه فى كل ضروب الحياة ...

---

(١) انظر : الرضا لمن يرضى : د / سيد صبحى ص ١٧ ، المطبعة التجارية سنة ١٩٨٥م

فاللهم يا حليم يا كريم ياذا الجلال والإكرام ارضنا وارض عنا ...

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين ، وصلى اللهم وسلم على سيدنا محمد وارضى اللهم عن الصحابة والتابعين ، واحشرنا معهم آمين

د / محمد رمزى أحمد فواز

أهم مراجع البحث

أولا : القرآن الكريم .

ثانيا : كتب السنة وشروحها .

ثالثا : الكتب والدراسات :

١- إحياء علوم الدين ، للإمام الغزالى ، ط عالم الكتب ، بدون .

٢- الأخلاق ، أحمد أمين ، ط مكتبة النهضة المصرية ، بدون .

٣- التعريفات ، للجرجاني ، تحقيق : د . عبد الرحمن عميرة ، ط عالم الكتب .

٤- تفسير القرآن الحكيم [تفسير المنار] ، للإمام رشيد رضا ، ط الهيئة العامة للكتاب ، بدون .

٥- تفسير القرآن العظيم ، للإمام ابن كثير ، ط دار الفكر بدون .

٦- تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق ، لابن مسكويه ، منشورات مكتبة الحياة .

٧- التوحيد فى ضوء العقل والنقل ، د . مبارك حسن حسين ، مطبعة الإيمان

٨- الجامع لأحكام القرآن ، للإمام القرطبى ، د دار الغد العربى .

٩- الخلق الكامل ، محمد أحمد جاد المولى ، ط مؤسسة الرسالة – ببيروت

١٠- الرسالة القشرية للإمام القشرى ، ط دار الكتاب العربى

١١- الرضا عن الله ، لابن أبي الدنيا ، ط الحلبي .

١٢- الرضا لمن يرضى ، د . سيد صبحي ، المطبعة التجارية عام ١٩٨٥م

١٣- كتاب الصدق ، أبو سعيد الخراز ، تحقيق د / عبد الحكيم محمود ، ط دار الكتب الحديثة

١٤- لسان العرب ، لابن منظور ، ط دار المعارف

١٥- مدارج السالكين ، لابن القيم الجوزية ، ط دار الأمانة

١٦- مداواة النفوس بتهذيب الأخلاق والزهد فى الرذائل ، لابن حزم ، تحقيق : أبو حذيفة إبراهيم بن محمد ، مكتبة الصحابة بطنطا

١٧- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ، محمد فؤاد عبد الباقى ، ط مؤسسة الرسالة

١٨- المعجم الوجيز ، مجمع اللغة العربية ، ط وزارة التربية والتعليم

١٩- المفردات فى غريب القرآن ، للراغب الأصفهانى ، تحقيق / محمد سيد كيلانى ، ط عيسى البابى الحلبى بالقاهرة

فضلا عن مراجع أخرى ذكرت فى الهوامش .

فهرس الموضوعات

العالم علما ميكانيكيا متحققا بالفعل – والنتيجة الثانية : أن عمل بيكون على اعداد المدرسة العلمية الأنجليزية التى اتخذت من التجربة المعلم الأول فى مجال الطبيعة (١) .

الملاحظة الثانية : أن بيكون فى نظرية الأوهام قد خلط بين أوهام الكهف وأوهام المسرح حيث إنه أدخل فى كل منهما المطالعة والتقليد والسلطة وكل ما يؤثر فى التكوين الشخصى يقول الأستاذ أوفيدينج " (إن نظرية الأوثان لبيكون ليست إلا طرفا ضئيلا من الفلسفة النقدية أو محاولة لتمييز ما يختص بالمعرفة الشخصية للكائنات الحساسة عما يتعلق بالكون المقام وليست هذه نظرية مبتكرة اذ نحن نعثر عليها واضحة مفصلة عند مونتينى وجاليليو على أننا لا نجد لدى بيكون تلك النظرة العظيمة التى ينظرها جاليليو إلى الكون حين يلح على الاستمساك بالنسبية وعلى ملاحظة المواضع التى يكون فيها الحاكمون على نظام الكون وقت نظرهم اليه وحكمهم عليه . أما بيكون فهو لا يتعدى الجزم بأن الفكر التى نكونها لأنفسنا عن العالم بدون قصد هى فكر زائفة وهى فيما يرى وهم من أوهام الحواس إذا كانت متعارضة مع التعليلات العلمية وفوق ذلك فهو لم يبين لنا فى وضوح كيف يجب على الباحث أن يحرر عقله من جميع الغواش المؤثرة فيه حتى يتمكن من جعله صحيفة بيضاء) (٢) .

الملاحظة الثالثة : إن الأوهام عند بيكون مثل الشك عند ديكارت ويصرح بيكون بذلك حيث يقول (فإن مشاكلنا ومصاعبنا ناجمة عن العقائد والاستنتاجات التى تحول بيننا وبين الوصول إلى

---

(١) فلسفة بيكون د/ حبيب الشارونى ص ٥٦ .

(٢) نقلا عن المذاهب الفلسفية العظمى للدكتور : محمد غلاب ص٥٤ البابى الحلبى سنة ١٩٤٨ .

الحقيقة إننا لا نتوصل إلى حقيقة جديدة لأننا نأخذ بعض القضايا أو الأراء الموقرة كقضية مسلم بها ولا نزاع فيها مع أن هذه القضايا أوالأراء عرضة للسؤال والخطأ إننا نأخذها – القضايا المسلم بها – نقطة الابتداء في البحث ولا نفكر أبدا في وضع هذه القضايا المسلم بها موضع الفحص والملاحظة والتجربة لأن الانسان عندما يبدأ باليقينيات فإنه سينتهي بالشك ولكنه عندما يبدأ راضيا بالشك فإنه سنتهي باليقينيات) (١).

وإذا كان بيكون قد جعل الشك طريقا للوصول إلى اليقين وهو بعينه مذهب الفيلسوف الفرنسي " ديكارت " فهل معنى هذا أن الشك عندهما واحد أم أن بينهما تباين يصرح الأستاذ ول ديورانت أن الشك عندهما واحد (٢) بينما أن الدكتور حبيب الشاروني يرى أن بينهما خلاف جذري حيث يقول (إن الأوهام عند بيكون مثل الشك عند ديكارت كلاهما يستبعد من محاله قضايا الدين لكن ثمة فارقا جذريا بين الاثنين فبينما يضع ديكارت الشك منهجا شخصيا فيبقى بالتالي لاجتهاد الشخص امكان تطبيقه في المجالات التي استبعدها هو . نجد بيكون حين يعرض أوهام العقل وكذلك

(١) نقلا عن قصة الفلسفة للأستاذ ول ديورانت : ص ١٦٧ مكتبة المعارف بيروت ط٦ سنة ١٩٨٨ والغريب في الأمر أن الأستاذ ول ديورانت يعلق على هذا النص بقوله (هنا ملاحظة تطبع الفلسفة الحديثة وهي جزء من اعلان استقلالها وحتي ديكارت يتحدث عن ضرورة أساليب الشك اللازمة للاتجاه بالفكر اتجاها امينا : وأقول في عجالة سريعة أين هذا من منهج المسلمين ولا سيما المعتزلة بل أين هذا من قول الإمام الغزالي (إذ الشكوك هي الموصله إلى الحقائق فمن لم يشك لم ينظر ومن لم ينظر لم يبصر ومن لم يبصر بقي في العمى والضلال . ميزان العمل ص ٤٠٩ تحقيق الدكتور / سليمان دنيا دار المعارف سنة ١٩٦٥ م .

(٢) قصة الفلسفة للأستاذ / ول يورانت ص١٦٧ .

حين يمضى إلى تفصيل المنهج الاستقرائى لا يعكس أى نظرة أيستمولوجية ولا يفكر إطلاقا فى المسألة من حيث هى تساؤل عن قيمة المعرفة فالاوهام عند بيكون تدل فحسب على عجز الإنسان أمام الطبيعة وربما يكون هذا الفارق هو أحد العوامل التى تفسر أننا لا نجد فى تاريخ الفلسفة سبينوزا بيكونى بينما نجد فيها سبينوزا ديكارتى . إن العقل عند بيكون إذا ترك يجرى على سليقته انقاد للأوهام لأنها طبيعة فيه أما العقل عند ديكارت فإنه نور فطرى وهو أعدل الأشياء قسمة بين الناس ومن هنا كان بيكون يدعونا للاحتراز من أوهام العقل بينما لا يطلب ديكارت سوى بداهة العقل وليست القضايا الدينية عند بيكون من أوهام العقل لذا يظل التسليم بها من قبل العقل قائما عند بيكون وعند أى بيكونى أما بداهة العقل عند ديكارت فهى نفسها التى أتاحت لسبينوزا إخضاع الكتاب المقدس للنقد التاريخى واشعال الثورة فى الفكر الدينى) (١)

ويقول الدكتور حسن حنفى (سبينوزا هو الديكارتى الوحيد الذى استطاع أن يطبق المنهج الديكارتى تطبيقا جذريا فى المجالات التى استبعدها ديكارت من منهجه خاصة فى مجال الدين وأعنى الكتب المقدسة والكنيسة والعقائد والتاريخ المقدس ... والسياسة فدرس أنظمة الحكم وقارن بينها ونقد الأنظمة التسلطية القائمة على حكم الفرد المطلق وانتهى الى أن النظام الديمقراطي هو أكثر النظم اتفاقا مع العقل ومع الطبيعة (٢) وهذه الأشياء التى درسها اسبينوزا ونقدها هى بعينها المجالات التى نبه عليها ديكارت أنها غير خاضعة لمنهج الشك حيث إنها متميزة بذاتها وهى من الوضوح

---

(١) فلسفة فرنسيس بيكون للدكتور: حبيب الشارونى ص٦١ .

(٢) سبينوزا رسالة فى اللاهوت والسياسة ترجمة وتقديم د/ حسن حنفى مراجعة د/ فؤاد زكريا الهيئة المصرية سنة١٩٧١ حيث وما بعدها .

والجلاء بحيث لا يتطرق الشك اليها على المستوى الفردى لا على مستوى الجماعة .

ب – جانب البناء عند بيكون : -

أما جانب البناء عند بيكون فإنه يتمثل فى الكشف عن المنهج العلمى القويم وتطبيقه واخضاع كل قول مهما كان مصدره للملاحظة والتجربة . فالانسان لن يستطيع أن يفهم الطبيعة ويتصدى لتفسير ظواهرها بالقياس لانه كما يرى بيكون ليس اداة للكشف عن حقائق الكون وانما هو أداة لعرض الحقائق واقناع الخصوم بها وهو أداة تشوبها عيوب عديدة كذلك لن يكون تفسير الطبيعة عن طريق الاستقراء الأرسطى لان هذا الاستقراء يرد فى النهاية إلى قياس تكون مقدمته الكبرى نتيجة لعملية إحصاء يقوم على الأمثلة الايجابية وحدها وهو لا يعطينا اليقين فالانسان لن يستطيع أن يفهم الطبيعة ويتصدى لتفسير ظواهرها ولا يكون ذلك إلا بالسيادة عليها باستكشاف صور الكيفيات ولا سبيل إلى هذا الاستكشاف إلا بالتوجيه إلى الطبيعة ذاتها وملاحظة احداثها بحواسه وفكره .

وليس المنهج عند بيكون هدفا فى حد ذاته ولكنه وسيلة للوصول إلى المعرفة العلمية الصحيحة إنه كما يقول بيكون (بمثابة من يقوم باشعال الشمعة اولا ثم بضوء هذه الشمعة ينكشف لنا الطريق الذى علينا أن نسلكه حتى النهاية) (١)

يقول بيكون فى مفتتح الأورجانون الجديد (إن الإنسان من حيث هو خادم للطبيعة ومفسر لها يعمل فى نظام الطبيعة ويدركه بقدر ما تتيح له ملاحظاته من هذا النظام سواء فيما يتعلق

---

(١) قصة الفلسفة للأستاذ ديورانت ص ١٦٨ .

بالأشياء أو بالعقل وهو لا يعلم ولا يستطيع شيئا اكثر من ذلك فيما يتعلق بالأشياء أو بالعقل وهو لا يعلم ولا يستطيع شيئا اكثر من ذلك وملاحظات الانسان تعرض عليه الكيفية التى يبحث عن صورتها مختلطة بكيفيات أخرى . فكيف استخلاص هذه الصورة مما عداها ؟ لا يتسنى ذلك إلا عن طريق الاستقراء الذى يفصل الطبيعة بسبب عمليات الرفض والاستبعاد الصحيحة ثم يخلص الى النتيجة الايجابية بعد أن يكون قد جمع عددا كافيا من الحالات السالبة) (١) .

ويقوم هذا المنهج على الخطوات التالية : -

الخطوة الأولى : جمع الحقائق ويتمثل ذلك فى جمع كل ما يتعلق بالواقعة (موضوع البحث) من مشاهدات قديمة أو حديثة دون تمييز واجراء التجارب عليها – وهو ما يعرف عند بيكون بالملاحظة والتجربة–

ويرى بيكون أن هناك طرقا معينة لإجراء التجارب تتمثل فى الآتى:

١- تنويع التجربة بتغيير المواد وكمياتها وخصائصها وتغيير العلل الفاعلية

٢ - تكرار التجربة مثل تقطير الكحول الناتج عن تقطير أول .

٣ - مد التجربة – أى إجراء تجربة على مثال تجربة أخرى مع تعديل فى المواد

(١) نقلا عن فلسفة بيكون د / حبيب الشارونى ص٧٦ .

٤ - قلب التجربة – مثل الفحص عما إذا كانت البرودة تنتشر من أعلى إلى أسفل بعد أن نكون عرفنا أن الحرارة تنتشر من أسفل إلى أعلى.

٥ - نقل التجربة من الطبيعة إلى الفن أو من فن إلى فن اخر.

٦ - الغاء التجربة – أي طرد الكيفية المراد دراستها.

٧ - تطبيق التجربة – أى استخدام التجارب لاستكشاف خاصية نافعة

٨ - جمع التجارب – أي الزيادة في فاعلية مادة ما بالجمع بينها وبين فاعلية مادة أخرى

٩ - صرف التجربة – أى أن تجرى التجربة لا لتحقيق فكرة معينة بل لكونها لم تجر بعد ثم ينظر في النتيجة ماذا تكون ؟

الخطوة الثانية – جداول الاستنتاج : -

فبعد إجراء التجارب يجب توزيعها في جداول ثلاثة : -

أ- جدول الحضور تسجل فيها الأمثلة المثبتة للظاهرة.

ب- جدول الغياب تسجل فيها الأمثلة النافية للظاهرة.

ت- جدول المقارنة تسجل فيها الأمثلة التى تقوى فيها الظاهرة والأمثلة التى تضعف فيها لاكتشاف السبب الذى تدور معه الظاهرة قوة وضعفا (١)

---

(١) تاريخ الفلسفة الحديثة الأستاذ يوسف كرم ص٥٠ الطبعة الرابعة دار المعارف سنة ١٩٦٦.

الخطوة الثالثة – العزل والإقصاء : -

بعد توزيع التجارب فى القوائم الثلاث سيتبين أن هناك بعض الأمثلة لا دخل له فى وجود الظاهرة وعندئذ يقوم بعملية عزل تستبعد فيها الأمثلة التى لا يمكن ان تكون علة للظاهرة حتى ينتهى به الأمر إلى استنتاج العلة الحقيقية التى تدور معها طردا وعكسا فتوجد بوجودها وتنتفى بانتفائها وحينئذاك توضع النتيجة فى صورة حكم كلى مدلل مبرهن عليه بالاستدلال الاستقرائى المرتكز اجمالا على هذه القواعد .

أولا : الاعتقاد بأن طبائع الأشياء لا تتغير .

ثانيا : أن العلل المتشابهة تنتج المعلومات المتشابهة .

ثالثا : أن المستقبل يشبه الماضى .

رابعا : أنه لابد من علاقة علية بين الظاهرة وبين شئ أخر هو السبب فى وجودها ويجمع هذه القواعد الأربعة تحت قانونين عامين يطلق على أحدهما اسم " افتراض الاطراد فى وقوع الحوادث الطبيعية " وعلى ثانيهما اسم " قانون العلية " (١)

هذه هى خطوات المنهج العلمى عند بيكون فى جانبه الايجابى ولى عليه عدة ملاحظات .

الملاحظة الأولى : أن بيكون قد وحد بين الملاحظة والتجربة وجمع بينهما فى خطوة واحدة والحقيقة أن هناك فرق كبير بينهما يقول زيمرمان (ان ما نعرفه بالملاحظة يبدوا أنه يظهر

(١) تأملات فى الفلسفة الحديثة والمعاصرة للدكتور / محمد عبد الرحمن بيصار ص٤٢، ٤٣ الطبعة الثانية .

طوعا من تلقاء نفسه أما ما نعرفه بالتجربة فهو ثمرة محاولات نقوم بها للتحقق من وجود الشئ أو عدم وجوده) (١)

وبهذا تصبح الملاحظة تسجيل ظواهر بحالتها والتجربة تسجيل ظواهر يخلقها المجرب أو يحددها : يقول كيفيه (إن من يلاحظ ينصت للطبيعة ومن يجرب يستجوبها ويضطرها إلى الكشف عن نفسها) (٢)

كما أن بيكون بجمعه بين الملاحظة والتجربة فى خطوة واحدة وتوحده بينهما خلط بين مناهج البحث في العلوم الطبيعية فهناك من العلوم ما يقوم على الملاحظة دون التجربة كعلم الفلك مثلا وهناك ما يخضع للملاحظة والتجربة كعلم الكيمياء يقول لا بلاس (على الأرض يكون تغير الظواهر وتنوعها بالتجارب أما فى السماء فإننا نحدد فى عناية كل ما تعرضه علينا الحركات السماوية وفى هذا يختلف عمل الفلكى عن عمل الكيميائى وعالم الطبيعة وإن كانت جميع العلوم تشترك في أنها تنشد العلم بقوانين الظواهر علما يمكن الانسان من التنبؤ بها أو تنويعها أو السيطرة عليها) (٣)

الملاحظة الثانية : أن بيكون كان يعتقد أن مجرد جمع الوقائع والتجارب فى قوائمه الثلاثة كفيل بالوصول إلى القوانين وبذلك يكون بيكون قد أنكر مرحلة تكوين الفروض فى حين أن خطوات المنهج التجريبى الصحيح هى الملاحظة والتجربة ثم تكوين الفروض وتحقيقها عن طريق التجربة أما ما ذكره الدكتور توفيق الطويل والدكتور محمودقاسم فى دفاعهما عن بيكون بأنه لم يهمل

---

(١) نقلا عن أسس الفلسفة للدكتور/ توفيق الطويل ص١٢٦الطبعة الثالثة سنة ١٩٥٨.

(٢) نقلا عن المرجع السابق ص ١٢٦ .

(٣) نقلا عن المرجع السابق ص ١٢٧ .

الفرض العلمى بصفة عامة بل حارب الغلو فى وضع تلك الفروض التى لا يمكن تمحيصها والتى تشبه الأشباح فى أنها تحجب الحقائق وتشوهها (١) فإن ذلك مردود بما قاله بيكون نفسه حيث يقول (إن الفروض من خلق المخيلة والمخيلة قوة غير محدودة أى يمكن أن تستمر فى خلق الاراء إلى مالانهاية(٢) وكذلك بما قاله كلودبرنارد بأن بيكون لم يكن عالما ولم ينتفع بمنهجه ولم يستطع أن يفهم نظام المنهج التجريبى وسره والدليل على ذلك أن بيكون قد أوصى بالابتعاد عن الفروض والنظريات والتى هى ألزم ما يكون للمنهج التجريبى (٣) ويحلل ول ديورانت ذلك الموقف من بيكون حيث يقول (ومهما يكن من أمر فإن بيكون كان على حذر من الفرضيات حيث كانت فى الكثير الغالب توحى بها التقاليد أو التحيز أو الرغبة أى توحى بها مرة أخرى الأصنام فكان يرتاب فى أى نهج تقليدى تصطفى الفرضية فيه قصدا أو عن غير قصد من التجريب ..)(٤)

الملاحظة الثالثة : أن بيكون باهماله منهج القياس الرياضى والتحديدات الكمية قد قضى عليه بمعاناة تجارب طويلة وعاتيه فوق أنه كان منه موضع نقص شائن وقصور معيب يقول الأستاذ أوفدينج : إن الرسم التفصيلى الذى يصور به بيكون الاستقراء يعتبر خطوة إلى الامام فى عصره ولكن المرتبة الدينا التى وضع فيها القياس والتحديدات الكمية من منهجه كانت قمينة – عند الموازنة بينه وبين العلوم الحديثة – بأن تقذف به إلى زوايا

---

(١) أنظر أسس الفلسفة للدكتور توفيق الطويل ص١٣٨ ، المنطق الحديث ومناهج البحث للدكتور محمود قاسم ص ١٦٠ .

(٢) نقلا عن المنهج العلمي عند العرب للدكتور / جلال موسى ص ٤٨ .

(٣) نقلا عن أسس الفلسفة للدكتور / توفيق الطويل ص ١٣٨ .

(٤) قصة الحضارة : ول يورانت المجلد الرابع عشر ص ٢٧، ٢٨ ص ٢٦٢ الهيئة المصرية العامة للكتاب .

النسيان أنه لم ير تلك الحقيقة الناصعة وهي أن العلم التجريبي لا يكون ممكنا إلا اذا تحقق قبل وجوده أساس ثابت من القياس الرياضي يجئ عن طريق التقدير الدقيق للأحداث وهو لم يدرك البتة أن القياس هو الذى يقدم إلى الباحث برهان ضبط البحث العقلى الاستقرائى الذى لا يمكنه الاستغناء عنه بحال (١)

الملاحظة الرابعة : وهى تتعلق بغاية بيكون من منهجه فإنه كان يريد أن يصل الى تحديد طبائع الأشياء أو الجوهر الخاص بكل منها ووسيلة هذا عنده هو معرفة الصورة – فالصورة عنده ليست هي المقابلة للمادة أو الهيولى – عند أرسطو وليست هى مثال الشئ عند أفلاطون وليست التى ترتسم فى أذهاننا خطأ عن حقائق الأشياء الموجودة فى العالم الخارجى وانما الصورة عنده هو القانون العام والناموس الطبيعي الذى تسير بمقتضاه الظاهرة ولا يتخلف عنها بحال من الأحوال حيث يقول (صورة الظاهرة هى التى إذا أضيفت اليها أكسبتها ما هيتها واذا ما انترعت منها تلاشت طبيعتها)(٢) .

ولكن الذى ذهب إليه بيكون فى تحديد معنى الصورة فهو قريب الشبه بمثال أفلاطون وصورة أرسطو إذ بكل منهما تكون حقائق الأشياء، وماهياهات فضلا عن اضطرابه الظاهر فتارة يجزم بأن الصورة هى خاصيات الأشياء وأخرى يعلق أنها هى النواميس التى تحدد النشاط الذى تنحصر فيه طبائع الأحداث (٣) فصورة الحرارة على هذا النحو مثلا تكون هى عين الناموس الذى تتحد

(١) نقلا عن المذاهب الفلسفية العظمى للدكتور / محمد غلاب ص ٥٦ ، ٥٧ .

(٢) نقلا عن قصة الفلسفة للأستاذ ول ديورانت ص ١٦٩ .

(٣) أنظر الآلة الجديد لفرنسيس بيكوت ترجمة الدكتور حبيب الشاروني ص١٣٤ .

فيه طبيعة الحرارة ولكي يستطيع المرء ايجاد الحرارة يجب عليه أن يعرف هذا الناموس وهذه الأراء تكاد تكون بعينها أراء الاقدمين وهكذا نرى أن بيكون هنا لا يزال تلميذا للمدرسيين ولأرسطو الذى حاربه بشدة فإن بيكون كما يقول أو فدينج حين يطلق على الروائح والألوان والحرارة والبرودة والثقل والخفة وما اليها إسم بسائط الطبائع أو إسم الصور الأساسية للأشياء يكون خاضعا كل الخضوع لتأثير أراء أهل العصور الوسطى لما كانوا يدعونه بالخصائص الخفية للأشياء (١)

هذا هو المنهج العلمى عند بيكون بجانبيه وتلك هى ملاحظاتى عليه والآن انتقل لبيان المنهج العلمى عند ديكارت والأصول التى يقوم عليها .

ثانيا : معالم المنهج العلمى عند ديكارت : -

يعرف ديكارت المنهج بأنه عبارة عن [القواعد اليقينية البسيطة التى تضمن لمن يراعيها بدقة ألا يفترض الصدق فيما هو كاذب وأن يصل إلى علم صحيح لكل ما يمكن العلم به وذلك بفضل إزدياد مطرد فى ذلك العلم ودون القيام بمجهودات لا جدوى منها](٢)

ويعرفه فى المقال عن المنهج بأنه عبارة عن [القواعد التى تعين الانسان على زيادة علمه تدريجيا والإرتقاء شيئا فشيئا إلى أسمى نقطة يستطيع بلوغها رغم ضعفه وقصر حياته] (٣)

---

(١) نقلا عن المذاهب الفلسفية العظمى للدكتور محمد غلاب ص ٥٨ .

(٢) القواعد لتوجيه العقل لديكارت نقلا عن ديكارت للدكتور / نجيب بلدى : سلسلة نوابغ الفكر الغربى ص٥٩ دار المعارف سنة ١٩٨٧ .

(٣) المقال عن المنهج لديكارت ترجمة الدكتور/ محمود محمد الخضيرى مراجعة الدكتو / محمد مصطفى حلمى ص ١٧٨ وما بعدها نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٥ .

فالمنهج عند ديكارت يبين القواعد العملية التى يجب إتباعها لإقامة العلم ولا يحلل أفعال العقل ولا يدلل على صدقها وموطن الخطأ فيها ويتضح ذلك من قول ديكارت حيث يقول [ليس غرضى أن أعلم المنهج الذى يجب على كل فرد إتباعه لكى يحكم قيادة عقله ولكن غرضى هو أن أبين على أي وجه حاولت أن أقود عقلى] (١)

فالمنهج عنده فن لا علم : والعلم عنده استنباطى بمعنى أنه يضع المبادئ البسيطة الواضحة ويتدرج منها إلى النتائج أما ما كان يجريه ديكارت من التجارب فقد كانت أهمية التجربة مقصورة فى منهجه ومذهبه على إثارة الفكر لمعرفة أي نتائج الاستنباط هى المحققة بالفعل من بين النتائج المختلفة التى يستطيع العقل أن يستنبطها من المبادئ : يقول ول ديورانت عنه[وشرح جنينا ووصفه من الوجهة النشريحية وهو يقول (ديكارت) انه شرح رؤوس حيوانات مختلفة ليتحقق فى أيها تكون الذاكرة والتصور وغيرهما وأجرى التجارب على الفعل اللاإرادى أو المنعكس وشرح الطريقة الميكانيكية ..] (٢)

ويحدد ديكارت طريقتين للوصول إلى اليقين : الأول هو البصيرة والثانى : هو الاستدلال :

أما عن الطريق الأول : البصيرة : فإنه يعنى بهابصيرة العقل ورؤيته لطبيعة الشئ وما هيته وعلامة البصيرة : اليقين : لبساطة موضوعها من جانب : ولصدورها من عقل منتبه خالص غير خاضع لسلطان الحس والخيال من جانب آخر : وعلي ذلك فلا يتضح المنهج إلا بالتهيؤ للبصيرة من ناحية وممارسة البصيرة على خير وجه من ناحية أخرى :

---

(١) المرجع السابق ص ١٦٥ .

(٢) قصة الحضارة للأستاذ ول ديورانت المجلد الخامس عشر حـ٣٠ ص ٣٢٩ .

أما التهيؤ للبصيرة فيتم بعدة شروط منها تجنب السرعة والتهور وتعويد النفس الصبر والأناة فى الأمور العقلية وتحريرها من الاحكام السابقة التى تأصلت فيها منذ زمن بعيد وتصفيتها من أحكام الحس والخيال فيما أمكن معرفته بالعقل وحده :

أما ممارسة البصيرة على خير وجه فيتم بفضل الانتباه ومضاعفته حتى يصبح فى النفس عادة – اثارة الولع بالبسائط – ودعوتها إلى عدم إهمال الأمور الميسورة .

أما عن الطريق الثانى : الاستدلال : فإنه يجب تحويله إلى بصيرة بقدر المستطاع والوقوف فى المعرفة عند البصيرة إذا أمكن .

أما عن طريقة التحويل فهى المراجعة ومعنى ذلك كما يرى ديكارت أنه يجب علينا أن نراجع كل قضية يقينية فى برهاننا وأن نراجع علاقتها اليقينية بسابقتها وبلاحقتها ثم علاقة هذه السابقة أو تلك اللاحقة بغيرها من القضايا اليقينية فى البرهان حتى يصير البرهان وكأنه قضية واحدة لا يشوبه شئ ولا يحتمل خطأ .

أما عن الاستدلالات التى لا يكتفى فيها بالمراجعة وهى الاستدلالات المعقدة فإن ديكارت يرى تحليلها إلى بسائط بصيرية وترتيبها ترتيبا بصيريا حتى نصل إلى تركيبها تركيبا بصيريا ومن هنا كانت طريقة التحليل والترتيب والتركيب هى الطريقة المثلى الموصلة إلى اليقين فى الاستدلال :

يقول ديكارت فى بيان قواعد المنهج :

الأول : ألا أقبل شيئا على أنه حق مالم أعرف يقينا أنه كذلك بمعنى أن أتجنب بعناية التهور والسبق الى الحكم قبل النظر والا أدخل

فى احكامى إلا ما يتمثل امام عقلى فى جلاء وتميز بحيث لا يكون لدى أى بحال لوضعه موضع الشك] (١)

وهذا هو الطريق الاول للوصول إلى اليقين عن طريق البصيرة وهو ما يعرف بالجانب السلبى عند ديكارت .

أما عن القاعدة الثانية فإنه يقول فيها [الثانى أن اقسم كل واحدة من المعضلات التى سأختبرها إلى أجزاء على قدر المستطاع على قدر ما تدعو الحاجة إلى حلها على خير الوجوه] (٢)

وهذه القاعدة هى قاعدة التحليل وتعنى أن المعضلة التى نريد دراستها لابد من تحليلها إلى أجزاء بسيطة على قدر ما تدعو الحاجة إلى حلها حتى يتسنى لى ادراك ماهيات أجزائها بالبصيرة .

أما عن القاعدة الثالثة : فإنه يقول فيها [أن أسير بأفكارى بنظام بادئا بأبسط الأمور وأسهلها معرفة كى أتدرج قليلا قليلا حتى أصل إلى معرفة اكثرها ترتيبا بل وأن أفرض ترتيبا بين الأمور التى لا يسبق بعضها الأخر بالطبع] (٣)

وهذه القاعدة هى قاعدة التأليف والتركيب ويعنى بها ديكارت تركيب ما حلله بعد أن أدرك جزئياته ادراكا بصيريا وعند تركيبه لابد من الترتيب بادئا بالأبسط ثم الذى يليه وذلك لمعرفة علاقة كل جزء بسابقه ولاحقه حتى إذا ما انتهى من تركيبه مرتبا كان قد أدركه كله ادراكا بصيريا وعند تركيبه للأمور التى ليس فيها ترتيب طبعى يفترض تركيبا من عند نفسه ليرى نتيجة ذلك التركيب ومن هنا يكون للفرض العلمى مكانته

---

(١) مقال عن المنهج لديكارت ... ص١٩٠، ١٩١ .

(٢) السابق ص ١٩١ .

(٣) السابق ص ١٩٠، ١٩١ .

أما عن القاعدة الرابعة : فإنه يقول فيها [والأخير أن أعمل فى كل الأحوال من الاحصاءات الكاملة والمراجعات الشاملة ما يجعلنيعلى ثقة من أننى لم أغفل شيئا] (١)

وهذه القاعدة هى قاعدة الاستقراء التام أو الاحصاء وهى تعني مراجعة الصلات أو الروابط الموجودة بين الحلقات التى تكون سلسلة الاستدلال فإذا تأكدنا من وثاقة إتصالها جازلنا أن نحكم حكما صحيحا وهذاالحكم بالغا من اليقين ما تبلغه البصيرة ويجب أن تكون عمليه الاحصاء متصله غير منقطعة إذ أننا لو أهملنا حلقة من الحلقات التي تتكون منها سلسلة الاستدلالات لانقطعت السلسلة ولما تبقى شئ من اليقين ثم لابد من التمييز بين حلقات السلسلة حتى لا تكون عرضة لتضليل الذاكرة :

هذه هى معالم المنهج العلمى عند ديكارت وتلك قواعده كما ذكرها ديكارت نفسه فى كتبه ولى عليه عده ملاحظات :

الملاحظة الأولى : أن ديكارت عند تطبيقه لقواعد المنهج نجد فيه تناقصاً واضحاً فينما يؤكد ديكارت فى قاعدته الأولى وهى المسماه بقاعدة اليقين علىألا يقبل شيئا على أنه حق إلا اذا تأكد بالصيرة – أنه حق إذا به يجنح الى التقليد ومتابعة الأباء والسلف فى مجال الأخلاق والدين حيث يقول [الأولى أن أطيع قوانين بلادى وعوائدها مع ثبات فى محافظتى على الديانة التى أنعم الله على بأن نشأت فيها منذ طفولتى وأن أحكم نفسى فى كل أمر أخر تبعا لاكثر الاراء اعتدالا وأبعدها عن الافراط والتى أجمع على الرضا بها فى العمل أعقل الذين سأعيش معهم لاننى لما بدأت منذ ذلك الحين

---

(١) السابق ص ١٩٢ .

لا أقيم لأرائي الخاصة أي اعتبار أيقنت أنه ليس فى استطاعتى أن أعمل خيرا من إتباعي لأراء أعقل الناس] (١)

وقد يكون ذلك التناقض الذى أشرت إليه مجنيا على ديكارت لو أنه أخرج الأخلاق من جملة العلوم التى اشار إلى وضع المنهج لها .

ولكننا نجد أن ديكارت عند تصنيفه للعلوم فى مقدمته لمبادئ الفلسفة جعل الأخلاق فى قمة العلوم وقال انها تستلزم معرفة كاملة للعلوم الأخرى (٢) ولكن إذا علمنا أن ديكارت وغيره من غير المسلمين يفرقون بين العلم والايمان وأن الدين لا علم كما هو رأيهم فلا تناقض أما عن عقيدتنا نحن المسلمين فهناك تناقض لأن العقيدة عندنا مبرهنة .

الملاحظة الثانية : أن ديكارت فى قاعدته – قاعدة اليقين – والتى جعل فيها أن وضوح أية فكرة وجلاءها – ادراكا بضيريا – دليل على صحتها والدليل على ذلك هو أن الأفكار الواضحة جديرة بالثقة لأن الله لا يخدعنا ما هو إلا تفكير دائرى فوضوح الفكرة دليل على وجود الله ووجود الله دليل على وضوح الفكرة وعلى أنه لا يخدعنا ما هو الا تفكير فلسفة العصور الوسطى التى دعا ديكارت فى مقاله عن المنهج بنبذها وطرحها (٣)

الملاحظة الثالثة : أن ديكارت فى حديثه عن المنهج يرى أن المعانى الكلية اسماء جوفاء ويستعيض عنها بما يسميه الطبائع

---

(١) مقال عن المنهج لديكارت ص ١٩٨ .

(٢) تعليق المترجم الأستاذ محمود محمد الخضيرى هامش ص ١٩٨ من المرجع السابق وأنظر المفكرون من سقراط إلى سارتر للأستاذ عثمان نوية ص ٤١ الانجلو المصرية سنة ١٩٧٠ .

(٣) قصة الحضارة للأستاذ ول ديورانت المجلد الخامس عشر حـ٢ ص ٣٣١ .

البسيطة ويستعيض عن منطق أرسطو بمنهج الرياضيين ويلزم من ذلك أن ليس هناك حقائق ضرورية فينشأ لدينا سبب اخر للشك فى العقل شكا حقيقيا لا منهجيا (١)

الملاحظة الرابعة : أن العناصر التى يطبق عليها ديكارت منهجه أو التى يحللها ثم يؤلفها ثم يراجعها هى المعقولات المحضة إذ أن كل علم عنده يمكن أن يدرك بالفكر المجرد وليست التجارب فيما يرى إلا عوامل تحقق تداعى الافكار أو تيسر عملية - البصيرة - ويلزم على هذا كما يقول الأستاذ يوسف كرم فأحال العلم الطبيعى علما رياضيا بحتا وذهب فى ذلك إلى حد افتراضه قوانيين كان يعلم عدم مطابقتها للواقع ولكنه افترضها لكى يمكن أن تقع الأشياء تحت الفحص الرياضى والرياضيات لا تنظر فى غير الأعداد والأشكال حتى إذا رددنا العلم الطبيعى إلى الرياضى رددنا الأجسام الطبيعية إلى أشكال هندسية ورددنا أفعالها إلى حركات الية تقاس ويعبر عنها بأعداد سواء فى ذلك الأفعال الحيوية والأفعال الجمادية على ما بين الطائفتين من تباين فيلزم من ذلك أن الاحساس ذاتي وأنه لا شبه بينه وبين علته الخارجية .. وأن تصور الأجسام الخارجية آلات أى مركبات صناعية خلواً من كل طبيعية او ماهية] (٢)

هذه هى أبرز معالم المنهج الديكارتى وتلك هى ملاحظاتى عليه ومعالم المنهج العلمى الاوربى عامة ما هى إلا صورة مشوهة من معالم المنهج الإسلامى ولذلك يحتم على المقام أن أتحدث عن أبرز معالم المنهج العلمى فى الإسلام لنرى التباين الواضح بين النظرتين من جانب وشمول المنهج العلمى الإسلامى لجميع مناحى الفكر والحياة من جانب أخر .

---

(١) تاريخ الفلسفة الحديثة للأستاذ يوسف كرم ص ٨٦ الطبعة الرابعة سنة ١٩٦٦ دار المعارف .

(٢) المرجع السابق ص ٨٥ .

المبحث الثانى

أسس المنهج العلمى فى الإسلام :

ذهب كثير من الباحثين المسلمين المحدثين إلى : قصر المنهج العلمى فى الإسلام على منهج الاستقراء – القائم على الملاحظة والتجربة وفرض الفروض والاستنباط العقلى – ولهثوا خلف علماء عصر النهضة الأوربية على قصر هنا المصطلح على هذا المفهوم شارحين ومفصلين بل ومستدلين على أسبقية علماء الإسلام ومفكريه لاكتساف هذا المنهج وتطبيقه فى مناحى الفكر المختلفة وأن الحضارة الغربية قد استمدت أصول هذا المنهج من الحضارة الإسلامية وانهم طبقوه على أبحاثهم بصورة مشوهة بما دفعهم إلى مناهضة الدين والدعوة إلى الالحاد ونسى هؤلاء والتك أن مفهوم العلم فى الإسلام يختلف عن مفهوم الغرب له .

فالعلم فى الإسلام شامل للعلوم الشرعية والكونية ولقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك حيث قال سبحانه (وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) [الاعراف : ٥٢] وقال سبحانه (بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ) [يونس – ٣٩] وقال تعالى (وليعلم الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) [الحج – ٥٤] وقوله سبحانه (قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ) [البقرة – ١٢٠]

كما أشار القرآن إلى العلوم الكونية فى آيات كثيرة مثل قوله تعالى (وعلم آدم الأسماء كلها) [البقرة : ٣١] وقوله سبحانه (وقدرناه منازل لتعلموا عدد السنين والحساب) (يونس : ٥) وقوله سبحانه

(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ * وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ) (فاطر : ٢٧، ٢٨) وقوله سبحانه (أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ) (النور : ٤٠)

ففي هذه الآيات وغيرها إشارات إلى علوم الفيزياء الحيوية والزراعة والجيولوجيا والوراثة والحيوان والاجناس والبيئة كما ربط القرآن الكريم العلم بالإيمان في قوله تعالى (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (آل عمران: ١٨) وقوله سبحانه (وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ) (سبأ: ٦) وقوله تعالى (بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ) (العنكبوت : ٤٩) وقوله تعالى (وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ) (الرعد: ٤٣)

كما ربط القرآن الكريم العلم بالقوة والطاقة الخارقة وأعطى مثالا على ذلك بالذى عنده علم من الكتاب وتقدم لاحضار عرش ملكة سبأ في لا زمن كما في قوله تعالى (قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ) (النحل :٤٠)

كما أعطانا الله وسائل العلم والتعلم كما فى قوله تعالى (وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (النحل :٧٨) كما ربط القرآن العلم بالقراءة والكتابة كما فى قوله تعالى (إقراء باسم ربك الذى خلق) (العلق :١) وقوله (ن والقلم وما يسطرون) (القلم :١)

فلوجئنا نستطلع كلمة العلم ومشتقاته فى القرآن الكريم فضلا عن الحديث النبوى لوجدنا أنها بلغت ثمانمائة واثنين وأربعين مرة (١) بصيغ مختلفة بلغت سبعا وسبعين صيغة موزعة على الأمرين – العلوم الشرعية والكونية (وليس معنى هذا أن القرآن الكريم كتاب فى العلوم كلا ، بل هو دستور أمة وقانون دولة ومعجزة رسالة وحياة بشرية وارشاد عقل فإذا ما أشار القرآن إلى جوانب علمية فإنها إشارات عابرة تريد أن تأخذ بيد الانسان ليرى من آيات ربه الكبرى) (٢) (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ) (فصلت : ٥٣)

وعلى هذا فالمنهج العلمى فى الإسلام ليس مقصورا على العلم المادى أو الذى يقبل الخضوع للملاحظة والتجربة بل هو أعم وأشمل من هذا وذاك .

إنه شامل لكل ما ينافى الجهل أو كل ما يمكن تعلمه أو هو صفة توجب لمحلها تميزا بين المعانى لا يحتمل النقيض أو هو صفة يتحلى بها المذكور لمن قامت هى به : وعلى كل فهو ينافى الظن والجهل لمركب واعتقاد المقلد ... الخ .

---

(١) المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم : محمد فؤاد عبد الباقى ص ٥٧٦ – ٥٩٠ ط أول سنة ١٩٩٦ .

(٢) تطور الفكر العلمى عند المسلمين للدكتور/ محمدالصادق عفيفى ص ١٣ مكتبة الخانجى بدون تاريخ .

فالمنهج العلمى فى الإسلام هو : مجموعة القواعد والقوانين التى وضعها الإسلام للوصول إلى ما يمكن الوصول إليه من معارف - شرعية كانت أو كونية ، نظرية كانت أو عملية بما يحفظ البشرية ويحقق لها الأمن والاستقرار - فى العاجل والآجل - ويخلع عليها سبل المحبة والخير والتراحم .

فالمنهج العلمى فى الإسلام يشتمل على الآتى : -

١ - إنه عبارة عن قواعد فكرية لا تختلف عليها العقول وقوانين عملية يهتدى الإنسان إلى معرفتها بالبحث والنظر للإفادة منها فى شتى المجالات .

٢ - أن هذا المنهج شامل لجميع أنواع المعارف والعلوم - النظرى منها والعملى ، الكونى منها والشرعى ، التصورى منها والتصديقى ، الفطرى منها والمكتسب .

٣ - أن الهدف من وضع الإسلام لهذه القواعد والقوانين - الوصول إلى الحق والخير : الحق فى الجانب النظرى والخير فى الجانب التطبيقى العملى - حفظ البشرية وتحقيق الأمن والاستقرار - النفسى والاجتماعى - وتحقيق الخير والتراحم بين جميع المخلوقات - ولا سيما الإنسان - الذى هو خليفة الله فى أرضه)

وذلك مثل قانون توافق الحقائق واطراد الفطرة التى يبنى عليهما العلم قوانينه وقواعده : يقول الدكتور الغمراوى [إن العلم فى تطبيقه قوانين التفكير المجموعة فى علم المنطق القياسى يتخذ أصلين إثنين يبنى عليهما : الأول : أنه لا تناقض مطلقا بين الحقائق فليس من الممكن أن ينقض حق حقا فما ينقض حقا فهو باطل وهذا يصح أن يسمى بأصل توافق الحقائق : والثاني : أصل اطراد

الفطرة واستقلالها فما ثبت أنه صحيح في وقت ما سيكون دائما حقا أو بعبارة أخرى : أن الحق مستقل عن الزمان والمكان](١)

ثم يبين الأستاذ الغمراوى أن هذين الأصلين قرانيان حيث يقول وهذان الأصلان اللذان يستمسك العلم بهما هذا الاستمساك هما أصلان قرانيان .. فأصل إطراد الفطرة ثابت قرأنيا من مثل أية الأحزاب : (سنه الله فى الذين خلو من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا) أو آية فاطر : (فهل ينظرون إلا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا) وآية الروم (فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم) فهذه آيات صريحة فى اطراد الفطرة وبقاء سنن الله فيها على مر الزمان كله من غير تحويل ولا تبديل والفطرة وسننها هنا تشمل كل ما وجد في ملكوت الله سواء فى ذلك ما تعلق بغير الإنسان من جماد ونبات وحيوان أو ما تعلق بالانسان من ناحية النفس والروح فى الفرد والجماعة مما لم يرتق العلم إليه إلى الآن . أما أصل توافق الحقائق أو إستحالة تناقضها فثابت قرآنيا من الآيات السابقة لأن تناقض الحقائق يستلزم تناقض الفطرة ويزداد ثبوتا بقوله تعالى فى سورة الملك (ما ترى فى خلق الرحمان من تفاوت) فإن التناقض لهو أكبر من التفاوت . فإذا انتفى التفاوت فى خلق الله لزم أن ينتفي التناقض في خلق الله أيضا (من باب أولى) . كذلك أعلن رسول الله (ﷺ) وسلم إستقلال الفطرة عن الانسان وذلك يوم وفاة ابنه ابراهيم وحدوث كسوف الشمس وتحدث الناس أنها كسفت لموت ابراهيم فخاطبهم عليه السلام بقوله (إن الشمس والقمر أيتان من آيات الله لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته فإذا رأيتم ذلك

---

(١) الإسلام فى عصر العلم للأستاذ محمد أحمد الغمراوى ص ١٦٢ الناشر دار الكتب الحديثة سنة ١٩٧٨ .

فادعوا وكبروا وصلوا وتصدقوا) (١) فنستطيع أن نقول : إن القرآن الكريم بهذا كان له فضل السبق فيما ذهب إليه المناطقة : فاطراد الفطرة هو ما ذهب إليه المحدثون فى القول بالطبيعة النوعية الواحدة الذى بنى عليه الاستقراء العلمى لضمان تعميمه بعد استقراء بعض أفراده وأصل توافق الحقائق هو ما ذهب إليه المناطقة كذلك فى القول بمبادئ التفكير المنطقية وكان القرآن بذلك يجمع ما بين الامرين : النظرى والعملى : أو القياسى والاستقرائى معاً : وهذا هو ما ينادى به المناطقة اليوم .

على أن القرآن الكريم مليئ بالقواعد والقوانين والتى لم تكتشف بعد وكلما تقدمت البشرية خطوة فى تقدمها الارتقائى وحضارتها الفكرية وجدت فى هذا الكتاب الكريم جديدا لم يكتشفه أباؤهم وصدق الرسول (ﷺ) حينما قال (إن هذا القرآن لا يخلق على كثرة الرد) بل هو جديد دائما صالح لكل زمان ومكان اينما قلبته وأمعنت النظر والفكر إكتشفت جديدا مما يدل على أنه معجزة الله الخالدة .

وعلى كل فإن المنهج العلمى فى الإسلام يقوم على جانبين : الاول سلبى ، والثانى ايجابى ولا يتضح معالم المنهج العلمى فى الإسلام إلا من خلال هذين الجانبين - لذلك يحتم على المقام بيانهما لنرى من خلالهما أبرز معالم المنهج العلمى فى الإسلام .

أولا : الجانب السلبى : أو جانب الهدم : -

ويراد به [افراغ العقل والقلب عن كل ما من شأنه أن يؤثر فى حيدة النظر والبحث ونزاهته والتجرد للحقيقة تجردا تاما بقدر الوسع البشرى وتعليق المقررات السابقة التى لم تقم على أساس من

(١) المرجع السابق ص ٦٢ ، ٦٣ .

التعقل والوعى والتى لم تصل بعد إلى درجة اليقين والقطع من العلوم والمعارف الظنية والمعتقدات والمذاهب الموروثة من الآباء والأسلاف ومن الأعراف والتقاليد والعادات المأخوذة من البيئات والعامة من الناس أو من الشكوك والظنون والأوهام](١)

ولما كانت المؤثرات فى حيدة النظر والبحث بعضها راجع إلى الانحراف الفكرى عن منهج التفكير السليم وبعضها راجع إلى انحراف النفس عن منهج الخلق القويم وبعضها راجع إلى ضعف الارادة أمام سلطة سياسية أو اجتماعية أو روحية كان لابد من تجنب هذه الأنواع الثلاثة قبل الدخول فى دائرة البحث .

ولذلك تحتم على المقام توضيحا لهذه الأنواع الثلاثة :

أ –الانحراف الفكرى عن منهج التفكير السليم:-

إن العلم فى الإسلام يجب أن يسلك إلى داخل النفس من مسالك الطريق المنطقى السليم للمعرفة وأنه لا يصح أن تتحول فكرة ما إلى حقيقة علمية يقينية إلا اذا كان لها شاهد من مسالك الادراك الحسى القاطع أو الاستنتاج العقلى القاطع أو الخبر الصادق القاطع أو الاشراق الروحى القاطع الموافق فى نتائجه العلمية نتائج مسالك الادراك أو الاستنتاج أو الخبر لكن كثيرا من الناس يقبلون فى حياتهم الفكرية أن تتحول أوهامهم أو تخيلاتهم أو ظنونهم إلى حقائق علمية دون أن تمر فى مراحل الطريق المنطقى السليم للمعرفة ودون أن تصل إلى درجة اليقين العلمى.

---

(١) محاضرات فى العقيدة والتوحيد للدكتور / عبد الرحمن محمد المراكبى ص٢٦٢.

ولذلك فإن كثيرا من الاخطاء العلمية راجع إلى هذا النوع من الانحراف الفكرى عن منهج التفكير السليم (١)

١ – الغرور بالنفس والإعجاب بالرأى : -

فالغرور بالنفس والإعجاب بالرأى منزلق كبير من منزلقات الفكر يؤدى إلى القول بأشياء باطلة والتزام ضلالات وانحرافات فكرية ولذلك يحذرنا القرآن من الغرور بالنفس حيث يقول سبحانه متحدثا عن قارون ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ (القصص:٧٨) وقوله سبحانه فى وصيه لقمان لولده ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ (لقمان:١٨) .

٢- ضعف العقل وقبول ما يلقى إليه أو يتخيله من أفكار باطلة: -

وذلك بركونه إلى التقليد أو الحكم بغلبة الظن أو اتباع الهوى ولذلك فإنه يجب على من يسلك طريق البحث أن يتخلى عن هذه الامور : يقول تعالى فى النهى عن اتباع الهوى﴿ فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا..﴾ النساء:١٣٥) ويقول سبحانه ﴿ قُل لَّا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ : الانعام : ٥٦) ويقول سبحانه (وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ الـ.: ص : ٢٦ ﴾ ويقول سبحانه ﴿ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ : المؤمنون :٧١ ﴾ ويقول عز وجل ﴿وان كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم ﴾ (الأنعام : ١١٦)

---

(١) العقيدة الإسلامية وأسسها – عبد الرحمن حسن حبنّكه الميدانى ص ٥٨٧ الطبعة السادسة ١٩٩٢ دار القلم دمشق .

فالهوى أساس كثير من الأخطاء وحشد من الانحرافات حتى يغدو الحق باطلا والباطل حقا ، فالمنهج العلمي فى الإسلام يوجب ترك هوى النفس وتوجيه النظر وكذلك يجب ترك الظن فى نطاق العلم وتجنبه حيث تكون الأحكام الصادرة عنه تجانبها الصواب ولذلك نهانا القرآن الكريم عن اتباع الظن حيث يقول سبحانه ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴾ (يونس : ٣٦) ويقول سبحانه ﴿ ان يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس﴾ (النجم ١٣)

ويقول عز من قائل (وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا)(النجم ١٣) كما أنه يجب ترك التقليد : وهو اتباع الغير دون معرفة الدليل فيلغى الانسان بذلك عقله ويسد عليه منافذ الادراك ويحيا كالحيوان الذى لا يدرك ولا يعقل : فالعلم لا يأتي عن طريق التقليد للآباء والأسلاف والإصغاء للعادات والتقاليد الموروثه ولذلك نجد القرآن الكريم ينعى على المقلدين ويتوعدهم بسوء العاقبة : حيث يقول سبحانه ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ابَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ : لقمان : ٢١ ، ٢٢ ﴾ ويتكرر هذا النهى فى مواضع كثيرة منها ﴿أَوَلَوْ كَانَ ابَاؤُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ : المائدة : ١٠٤ ﴾ وفى موضع أخر ﴿وَلَوْ كَانَ ابَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ :البقرة : ١٧٠ ﴾

وهكذا يحرر القرآن الكريم العقل من الوقوع فى أسر التقليد وقيود العرف وسلطان العادة والأخذ عن الآباء والأسلاف والسادة والكبراء دون وعى أو عقل وفتح منافذ الادراك للنظر فى الأنفس والآفاق للاهتداء إلى سنن الله فى الكون .

ب – الانحراف النفسى عن منهج الخلق القويم:-

كذلك يوجب المنهج العلمى فى الإسلام أن تتحرر النفس عن رذائل الأخلاق يقول الإمام الغزالى [فالعلم عبادة القلب وصلاة السر وقربة الباطن إلى الله تعالى وكما لا تصح الصلاة التى هى وظيفة الجوارح الظاهرة إلا بتطهير الظاهر عن الأحداث والأخباث فكذلك لا تصح عبادة الباطن وعبادة القلب بالعلم إلابعد طهارته عن خبائث الأخلاق وأنجاس الأوصاف](1)

ويبين الإمام الغزالى أن أمراض النفوس والتى تكون سببا فى عدم تحصيل العلم كثيرة منها: الحسد والكبر والشهوة والحقد والعجب ؛ ولذلك يجب التخلص من هذه الصفات جميعا ؛ ويعتبر الكبر أخطر هذه الأمراض التى يجب التخلى عنها حيث إنه غمط الحق وطمس معالمه وانتحال صور من الباطل يعمل على تزينها وتحسينها بالحجج التافهة التى لا تقوى على النهوض أمام قوة الحق لدى أصحاب العقول السليمة.

وقد بين الله سبحانه وتعالى أن الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم لا يدفعهم هذا الانحراف إلا ما فى صدورهم من كبر يصورهم أنهم فى موقع رفيع لكنهم فى واقع الأمر ليسوا ببالغيه مهما فعلوا حيث يقول سبحانه (إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) (غافر : ٥٦) يقول الإمام الرازى عند تفسيره لهذه الآية [إنما يحمعهم على هذا الجدال الباطل كبر فى صدورهم فذلك الكبر هو الذى يحملهم على هذا الجدال

---

(١) احياء علوم الدين للإمام الغزالى حـ١ ص٥٥ مصطفى البابى الحلبى ؛ القاهرة .

الباطل وذلك الكبر هو أنهم لو سلموا بنبوتك لزمهم أن يكونوا تحت يدك وأمرك ونهيك لأن النبوة تحتها كل ملك ورياسة وفى صدورهم كبر لا يرضون أن يكونوا فى خدمتك فهذا هو الذى يحملهم على هذه المجادلة الباطلة والمخاصمات الفاسدة] (١)

كما بين القرآن الكريم فى أكثر من موضع أن الكبر يكون سببا لسد منافذ الادراك مثل قوله تعالى ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا ﴾ (لقمان:٧) وقوله تعالى ﴿يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ﴾ (الجاثية :٨) بل إن القرآن الكريم يبين أن الكبر يكون سببا فى المنع من الاستيثاق من الشئ والركون فيه إلى الضلال حيث يقول سبحانه ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ﴾ (الاعراف : ١٤٦)

كما أنه يجب التخلي عن الحسد وهو غمط الحق وانكاره والجحود به مهما كان بينا مؤيدا بالحجج والبراهين لوقوفه أمام منافذ الادراك بالمرصاد فحجب عنها نور العلم والهدى ولقد كان الحسد من أكبر العوامل التى جعلت اليهود ينكرون الحق الذى جاء به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ويتمنون أن يعود المؤمنون برسالته إلى ما كانوا عليه أولا قبل الرسالة حيث يقول سبحانه ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾ (البقرة : ١٠٩) يقول الإمام الرازى عند تفسيره لهذه الآية [فالمراد أنهم كانوا يريدون رجوع المؤمنين عن الايمان من بعد

(١) التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) للإمام فخر الدين الرازى حـ٢٧ ص٦٩ دار الكتب العلمية بيروت .

ما تبين لهم أن الايمان صواب وحق والعالم بأن غيره على حق لا يجوز أن يريد رده عنه إلا بشبهة يلقيها إليه ..] (١)

وليس أمر الحسد وقفا على سد منافذ الادراك بل إنه مفضى إلى العداوة والبغضاء فإن من آذاه إنسان أبغضه قلبه وغضب عليه وذلك الغضب يولد الحقد والحقد يقتضى التشفى والانتقام : كما أنه مفضى إلى التعزز والترفع على الغير واستعماله وحب الرياسة وطلب الجاه وشح النفس والخوف من فوت المقاصد والتعجب (٢) وهذه الآفات كلها تفضى الى التخلف والرجعية والجهل بما تحتويه النفوس.

جـ - ضعف الإرادة : -

إن المنهج العلمى فى الإسلام يقوم على قوة الارادة وشدة العزيمة ولا يبال الباحث بأن يصدح بكلمة الحق ويعلنها مدوية فى جميع الارجاء وألا يخشى بطش الرؤساء والساسة ولقد ضرب القران الكريم الامثال لهذا الامر بما فعله الانبياء مع أقوامهم وما فعله العلماء مع أولى الأمر من الرؤساء والحكام وبين الإسلام أن ضعف الارادة يكون أحد العوامل الرئيسية فى سد منافذ الادراك كما يكون سببا فى التخلف والرجعية والجمود أمام سلطة الساسة والرؤساء وهذا الامر هو الذى حدا بفرنسيس بيكون إلى الاحجام عن التصريح بكثير من أرائه الطبيعية والتى تتعارض مع تعاليم الكنيسة كما كان هو السبب الرئيس فى تزلفه إلى الرؤساء كما كان ضعف الارادة سببا رئيسيا فى عدم مواصلة ديكارت كتابة كتابه - العالم - لما رأى بطش القساوسة لمخالفيهم وفرض العقوبات عليهم.

(١) التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) للإمام الرازى حـ٣ ص ٢٢٠ .

(٢) السابق حـ٣ ص ٢١٦ ، ٢١٧ .

ولذلك فإن الإسلام يحذرنا من ضعف الارداة ويدعو أتباعه إلى الصدوح بكلمة الحق حيث يقول سبحانه ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِه عَالِمِينَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ * قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءنَا لَهَا عَابِدِينَ * قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (الأنبياء : ٥٤) ويقول سبحانه ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (الانعام:٧٤) يقول الإمام الرازى عند تفسيرة لهذه الآية مبينا قوة ارادة ابراهيم عليه السلام [فعند هذا ثبت أن ابراهيم عليه السلام كان من الفتيان لأنه سلم قلبه للعرفان ولسانه للبرهان وبدنه للنيران وولده للقربان وماله للضيفان ..] (١)

فالإسلام جعل قوة الارادة عامل تشييد وبناء كما أنه بين أن ضعف الارادة عامل جمود وركود ولذلك فإن الإسلام يدفع أتباعه إلى قوة الارادة وذلك الذى حدا بأصحاب رسول الله إلى مخالفة بعضهم بعضا – عندما أرسلهم الى بنى قريظة وقال لهم لا يصلين أحدكم العصر إلا في بني قريظة – كما كان سببا فى نشأة علم الاجتهاد فى الإسلام .

وعلى كل فالجانب السلبى للمنهج العلمى فى الإسلام لابد وأن يكون شاملا لجوانب الانسان المختلفة والذى يتفق ومفهوم العلم : يقول الإمام بن حزم [ونحن نوصى طالب العلم ألا يذم ما جهل منها فهو دليل على نقصه وقوله بغير معرفة . وألا يعجب بما علم فتطمس فضيلته ويستحق المقت من الواهب له ماوهب . وألا يحسد ما فوقه حسدا يؤدى إلى تنقيصه فهذه رزيلتان وألا يحقر من دونه فقد كان فى مثل حاله قبل أن يعلم ما علم . وألا يكتم علمه

(١) التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) للإمام الرازى جـ١٧ ص٢٩

فيحصل هو ومن لا علم له في منزلة واحدة اذ كلاهما غير مستعمل للعلم ولا مظهر له . وألا يتكلم في علم قبل أن يحكمه فيخزى - وألا يطلب بعلمه عمل دنياه فيبذل الأفضل بالأدنى وأن يستعمل تقوى الله تعالى في سره وجهره فهو زين العالم] (١).

هذه هي أهم معالم الجانب السلبي للمنهج العلمي في الإسلام .

ثانيا : الجانب الايجابي - البناء -

إذا كان المقصود بالجانب السلبي للمنهج العلمي في الإسلام - افراغ العقل والقلب عن كل ما من شانه أن يؤثر في حيدة النظر والبحث ونزاهته ... الخ - فإن الجانب الإيجابي يعنى به . توجه العقل والقلب للنظر في الأنفس والآفاق لاستكتاه سنن الله فيه بما يحقق له الأمن في العاجل والسلامة في الآجل قدر الطاقة البشرية .

ولما كان كل ما في الإسلام يبدأ من القرآن ومن المقرر أن هذا الكتاب الخالد قد زود المسلمين بمنهج علمي يعتمد على مشاهدة الحس وبداهة العقل ويتميز بالبساطة والوضوح ويتجه إلى منفعة الانسان في دينه ودنياه .

تلك هي خطوات المنهج القرآني بصفة عامة أما تفصيلاته فإنها تتنوع بتنوع المجالات التي يتعرض لها الانسان .

ففي مجال الأمور الغيبية التي تتجاوز نطاق العقل البشري - بحكم طبيعتها من ناحية وضعف قدرته من ناحية أخرى - هناك منهج الاتباع ولا ينبغي أن يتصور أحد أن الاتباع في أمور الغيب لا يستند إلى أساس عقلي . فإن الاتباع لا يتم إلا بعد أن يتثبت الانسان

(١) مراتب العلوم للإمام بن حزم ضمن رسائل بن حزم تحقيق الدكتور إحسان عباس جـ٤ ص ٧٨ ط أولى سنة ١٩٨٣ المؤسسة العربية للدراسات والنشر .

من صدق الرسول الذى يقود خطاه فى ذلك الميدان الشاسع ويكون ذلك بطريقين : المعجزة، العصمة .

وفى مجال العقيدة يوجد منهج الاستقراء الحسى القائم على الملاحظة والمواجهة المباشرة فى الظواهر والاستدلال العقلى القادر على اقناع الكافة . لاثبات وجود الله ، وحدانيته ، وكذلك اثبات البعث والثواب والعقاب .

وفى مجال الشريعة هناك منهج الاستنباط القائم علىاستخراج الأحكام الفرعية لكل ما يتعرض له الانسان فى حياته اليومية من أصول الشريعة الأساسية وفى مجال المعاملات هناك منهج الاثبات والإشهاد وتسجيل العقود عن طريق الكتابة .

وفى مجال الأخبار المنقولة هناك منهج التثبيت والتحرى والتمحيص والبحث عن حال الناقلين للأخبار .

وهكذا تتنوع المناهج القرآنية بتنوع المجالات ولقد استوعب المسلمون الأوائل جيدا هذه المناهج وقاموا بتطبيقها على نحو يدعوا للاعجاب فى مختلف المجالات (1) .

والذى يعنينا الآن بيان الخطوات التى يقوم عليها الجانب الايجابى للمنهج العلمى وتتمثل هذه الخطوات فيما يلى : -

الخطوة الأولى : موضوع البحث : -

ويعنى بهذه الخطوة أن المنهج العلمى فى الإسلام يتطلب أولا وجود الأمر المحدد الذى يدور حوله البحث وذلك كمسألة وجود الله أو

---

(1) وسوف أبين ذلك فى المبحث الثالث من هذا البحث .

ثالثا : المنهج الاستردادى : وهو المنهج الذى يستخدم فى استعادة الماضى تبعا لما تركه من اثار أيا كان نوعها : وهو المنهج المستخدم فى العلوم التاريخية والأخلاقية (١)

وتتكون خطوات البحث فى المنهج الاستردادى على النقاط التالية :

المرحلة الأولى : جمع الوثائق . فالخطوة الاولى التى تمهد لأى دراسة تاريخية تبدأ بالبحث عن الوثائق التى تتصل بموضوع البحث (والمراد بالوثائق الأثار التى تركتها تجارب الأجيال الماضية سواء كانت مادية أو مكتوبة)

المرحلة الثانية : التحليل التاريخى (النقد) فإذا انتهى الباحث من اختيار موضوع دراسته ومن جمع الوثائق الخاصة به بدأ يحللها ويمحصها : والتحليل نوعان : خارجى وداخلى ولكل منها خطوات وهدف معين وتنحصر الخطوات التحليلية فى الرجوع من الوثيقة إلى الظاهرة التاريخية والتى كانت سببا فى تدوينها – ان كانت مكتوبة – أو ايجادها – ان كانت مادية – ويتطلب ذلك الرجوع إلى سلسلة معقدة من الاستدلالات التى يرتبط بعضها ببعض على أن أى خطأ فى الانتقال من استدلال إلى آخر يفسد نتائج التحاليل .

المرحلة الثالثة : تحديد الظواهر الخاصة : تنتهى مرحلة التحليل بنوعيه – الداخلى والخارجى – بأن تضع أمام المؤرخ العناصر الاساسية التى تحتوى عليها الوثائق والتى يمكن استخدامها فى المرحلة التالية الكبرى من منهج البحث فى التاريخ أى فى مرحلة التركيب ويستطيع المؤرخ أن يفرق بين ما هو جوهرى وبين

(١) مناهج البحث العلمى للدكتور عبد الرحمن بدوى ص ١٩ .

مالا قيمة له وهذه العناصر الاساسية قد تكون أخيارا خاصاً بالظواهر التاريخية أو اراء لصاحب الوثيقة أو لمن نقل عنه.(١)

هذه هي خطوات البحث فى المنهج الاسترداى وإننا اذا نظرنا اليها نجد أن القرآن الكريم قد أشار إلى جميع هذه الخطوات فى كثير من اياته بل إلى ما هو اكثر من هذا وهو أن القرآن الكريم قد اعتبر التاريخ مصدرًا هاما من مصادر المعرفة.

ولقد استخدم علماء الإسلام هذا المنهج وطبقوه على أبحاثهم العلمية قبل أن تعرفه أوربا بعشرة قرون وهم الذين قاموا بوضع الأسس والقواعد التى يقوم عليها هذا المنهج وكان لعلماء الحديث اليد الطولى فى هذا الضمار حيث قاموا بوضع قواعد النقد التى تشتمل على جانبين أو مبحثين من مباحث الحديث النبوى مبحث الاسناد ويسمى علم الرواية ومبحث المتن ويسمى علم الدراية . وقد كان من آثار الالتزام بالاسناد أن قام العلماء المتخصصون بوضع القوانين والضوابط التى تحدد مَن مِن الرجال تقبل روايته ومَن ترد روايته فدونوا كتب الرجال والتراجم التى تعنى بأخبارهم ورحلاتهم وشيوخهم وتلاميذهم وطبقاتهم وأوطانهم وتاريخ ولادتهم ووفياتهم وتعنى كذلك بحث عدالتهم وجرحهم وتعديلهم مما أنتج للمسلمين ثروة علمية عظيمة النفع إذ توضح حركة المجتمع وتاريخ العدد الكثير من أفراده وعلمائه .

كما اعتنى العلماء ببيان علل الاسناد الظاهر منها والخفى كالانقطاع والاعضال والشذوذ والارسال والتدليس ووصل المرسل ورفع الموقوف وابدال الاسناد وجمع الشيوخ .. وما إلى ذلك ويكفى لمعرفة دقة المنهج العلمى الذى اتبعه العلماء المسلمون وتكامله الأطلاع على عناوين الابواب التى أوردها الخطيب البغدادى فى كتابه

(١) المنطق الحديث .. للدكتور محمود قاسم ص ٤٨٨ وما بعدها .

الكفاية فى علم الرواية والتى منها اشتراط العدالة وأن السفة والكذب يوجب إسقاطها " " كراهة النقل والرواية عن الضعفاء واختيار السماع من الامناء " ترك السماع ممن اختلط وتغير " من غلب على حديثه وروايته الشواذ والمناكير والغرائب لا يحتج بروايته " ترك الاحتجاج بمن كثر غلطه وكان الوهم غالبا على روايته " ورد حديث أهل الغفلة ومن عرف بالتساهل فى سماع الحديث أو روايته " " كراهية الرواية عن أهل المجون والخلاعة " ومن عرف بالصلاح والعبادة ولم يكن من أهل الضبط والرواية بترك الاحتجاج بحديثه " " ونقل الحديث كما تلقى دون زيادة أو إبدال كلمة بكلمة بل حتى حرف بحرف او حركة بحركة وان كان ذلك لا يغير المعنى ولا يتصرف فى اصلاح ما يرى أنه خطأ ولو خالف فصيح البلغاء .

ومباحث علم الاسناد على تنوعها وتعددها تهدف كلها إلى توثيق النص ونقده وبيان ما يقبل وما يرد من الروايات لانه إذا بطل السند واكتشف كذبه فإن ذلك يبطل النص المقول بهذا السند فعلم الاسناد بكل مسائله وأنواعه وعلله يهدف الى تصحيح النصوص ومحاربة الوضع والكذب فيها.

أما المبحث الثانى : فهو المبحث المنصب على المتن (النص)ويسمى علم الدراية وهو دراسة النص من جوانب متعددة منها ما يهدف إلى التاكد من صحة النص بعد ثبوت سنده ومنها ما يهدف الى فهم النص وفقهه سواء فهم أحكامه ودلالته أوفهم لغته وألفاظه فكان من مباحثهم غريب الحديث ، أسباب ورود الحديث ، ناسخ الحديث ومنسوخه ، مختلف الحديث ، محكم الحديث ومتشابهه ... الخ (١)

---

(١) منهج كتابة التاريخ الاسلامى حتى نهاية القرن الثالث الهجرى تاليف محمد بن عامل العليانى ص ١٥٢ وما بعدها الطبعة الأولى سنة ١٩٨٦ الناشر دار طيبة الرياض .

فالنهج الاسترادى عند علماء الحديث قد بلغ من الدقة والاحكام أرقى ما يمكن أن تصل اليه الطاقة البشرية والمقدرة الانسانية لنقد مثل هذه العلوم ويرى الشيخ محمد أبو زهرة أن جهود العلماء المسلمين فى مقاومة الوضع قد اتخذت جانبين جانب نظرى وهو وضعهم للقواعد الدالة على الوضع فى الحديث وجانب عملى وذلك ببيانهم الأشخاص الوضاعين وتعريف الناس بهم وبيان الاحاديث الموضوعة بالنص عليها (١)

على أنه يجب ان أشير إلى أن هذه القواعد التى وضعها علماء الحديث للتوصل إلى معرفة النص الصحيح وان كانت فى الأصل خاصة بالحديث النبوى الشريف إلا أنها صالحة للتطبيق على مختلف العلوم النقلية وخاصة علم التاريخ لأنه عبارة عن أخبار ووثائق وروايات لا طريق للتثبت من صحتها إلا بتطبيق هذه القواعد المنهجية لأنه من غير الممكن معرفة ذلك بواسطة التجارب المعملية.

وبذلك أستطيع أن أستخلص النتائج التالية :

١ – إن الأصول الى قام عليها المنهج الاسترادى أصول قرآنية شكلا وموضوعا .

٢ – تكامل منهج النقد الإسلامى وتدوين قواعده منذ القرن الثالث الهجرى حيث نقدوا النصوص ونقدوا حملة النصوص ورواتها مما أنتج لهم علم الاسناد المتصل الذى هو من خصائص هذه الأمة الاسلامية كما أنتج لهم مجموعة من المعارف والعلوم كعلم الرجال وطبقاتهم .. الخ وكان من ثمرات هذه العلوم أن حفظت للأمة تاريخها الثقافى والعلمى بأدق تفاصيله ومراحله (٢)

---

(١) الحديث والمحدثون للشيخ محمد أبو زهرة نقلا عن المرجع السابق ص ١٥٥ .

(٢) المرجع السابق ص ١٦٧ .

٣ – أن منهج النقد فى الحضارة الغربية لم توضع قواعده بشكل منظم إلا فى القرن التاسع عشر الميلادى أى بعد معرفة المسلمين لقواعد النقد بعشرة قرون كاملة أو اكثر ولابد أنهم استفادوا من قواعد النقد عند المسلمين يقول الدكتور النشار [أما إذا إنتقلنا إلى المنهج الاستردادي فإننا نرى المسلمين قد أقاموه على أسس علمية دقيقة فيما يعرف بعلم مصطلح الحديث وطرق تحقيق الحديث رواية ودراية وهى منهج البحث التاريخى كما عرفه (فلج وسيتيوبوس ولانجلو) وقد توصل المسلمون إلى كل ما توصل إليه علماء مناهج البحث التاريخى من نقد النصوص كما عرفوا طرق التحليل والتركيب التاريخية وفحص الوثائق ومنهج المقارنة والتقسيم والتصنيف كما أن دراسة طرق التحقيق التاريخى عند كثيرين من علماء الطبقات وبخاصة التاج السبكى وابن خلدون والسخاوى] (١)

٤ – أن هذا المنهج لم يكن للسابقين – يونان ورومان – علم به وانما هو وليد الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامى يقول الدكتور محمود قاسم [لم يتبع القدماء منهجا سليما فى دراسة التاريخ فكانوا يخلطون بينه وبين فن القصص وكانوا يجمعون الوثائق والروايات كيفما اتفق ثم يصهرونها ويصبونها فى قالب ادبى جذاب] (٢)

٥ – أن منهج النقد التاريخى – الاستردادى – فى ظل التصور الغربى غير صالح للتطبيق فى الدراسات الاسلامية وذلك لان الأساس فى فهم الحادثة وتفسيرها وربطها بما قبلها وما تلاها ينبغى أن يكون قائما على أساس ادراك مقومات النفس البشرية جميعها روحية وفكرية وحيوية ومقومات الحياة البشرية جميعها معنوية ومادية

---

(١) مناهج البحث عند مفكرى الإسلام للدكتور النشار ص ٢٧٥ .

(٢) المنطق الحديث للدكتور محمود قاسم ص ٥٠٠ .

وهذا الادراك لتلك المقومات ينقص الطبيعة الغربية لإدراك الحياة الشرقية بصفة عامة والحياة الإسلامية على وجه الخصوص لعدم وجود عنصر الروحية الغيبية وبخاصة فى العصور الحديثة بعد غلبة النظريات المادية والطريقة التجريبية على وجه الخصوص إذن ، تناول الغربيين للتاريخ الاسلامى تناول فيه نقص فى الادراك ونقص فى الفهم ونقص فى التفسير والتصوير وهذا النقص يعد عيبا فى منهج العمل التاريخى ذاته ومن ثم فالمنهج الأوربى فى البحث بسبب تعطيل أحد عناصر الاستجابة سواء كان ذلك ناشئا عن الطبيعة الغربية ذاتها وملابسات حياتها البيئية والتاريخية أو ناشئا عن تعمد الأوربى تعطيل هذا العنصر .

وهناك سبب آخر الا وهو أن الأوربى ميال بطبيعته إلى اعتبار أوربا هى محور العالم فهى نقطة الرصد فى نظره ومن هذه الزاوية ينظر الى الحياة والناس والأحداث وإذا كان بدهيا أن أوربا لم تكن هى محور العالم فى كل عصور التاريخ وكان الأوربى لا يملك اليوم أن يتخلص من وهم وضعها الحاضر حين ينظر إلى الماضى أدركنا مدى انحراف الزاوية التى ينظر بها الأوربى للحياة الاسلامية التاريخية ومدى أخطاء الرؤية التى يضطر اليها اضطراراً ومدى أخطاء التفسير والحكم الناشئ من هذه الرؤية المعينة .

هذه كله على افتراض النزاهة العلمية المطلقة أما إذا وضعنا فى حسابنا - ولابد أن نضعه - من اختلاف العقيدة وكراهية الأوربى للدين الاسلامى لما حدث له على يد أهله من ذكريات مريرة فى الأندلس وفى بيت المقدس وفى الأستانة وفى سواها من صراع سياسى واقتصادى واستعمارى الى نزوات بشخصية

والتواءات فكرية ... الخ أدركنا مدى خطورة الدراسات التاريخية الأوربية على الفكر الاسلامى (١) .

هذا فيما يتعلق بالمنهج الاسترددادى وما قام به علماء الاسلام .

رابعا : المنهج الجدلى : -

وهو الذى [يحدد منهج التناظر والتحاور فى الجماعات العلمية أو فى المناقشات العلمية على اختلافها] (٢)

وقد اعتاد مؤرخوا المناهج فى العصر الحديث ألا يولوا لهذا النوع من المناهج عناية ويحتا شأن المناهج السابقة بل ان منهم من لا يذكره أصلا ضمن المناهج العلمية – كما فعل الدكتور محمود قاسم – ومنهم من يذكره عرضا – كما فعل الدكتور بدوى – حيث انهم يرون أنه لا يفيد معرفة علمية وذلك لامرين : الأول : لأن مفهوم العلم عندهم مفهوما ضيقا . الثانى : ما أخذوه عن أرسطو من أن هذا النوع من المناهج لا يوصل إلى اليقين بل إن المعرفة التى يفيدها معرفة ظنيه لقيامه على مقدمات مشهورة .

والحقيقة أن هذا المنهج له أهميته الكبرى ومنزلته العالية فى تصحيح الفكر ودفع الشبهات فلقد استخدمه سقراط فى اثبات حقائق الأشياء وقد عرف ذلك المنهج عنده بالتهكم والتوليد يقول الأستاذ يوسف كرم [انتهج سقراط منهجا جديداً فى البحث والفلسفة أما فى البحث فكان له مرحلتان تدعيان التهكم والتوليد ففى الأولى كان يتصنع الجهل ويتظاهر بتسليم أقوال محدثيه ثم يلقى الأسئلة ويعرض الشكوك شأن من يطلب العلم والاستفادة بحيث

---

(١) فى التاريخ فكرة ومنهاج للأستاذ السيد قطب ص ٣٧ وما بعدها دار الشروق ط٤ سنة ١٩٨٠ .

(٢) مناهج البحث العلمى للدكتور عبد الرحمن بدوى ص ١٩ .

ينتقل من أقوالهم إلى أقوال لازمة منها ولكنهم لا يسلمونها فيوقعهم فى التناقض ويحملهم على الاقرار بالجهل .. وينتقل الى المرحلة الثانية فيساعد محدثيه بالأسئلة – الاعتراضات مرتبة ترتيبا منطقيا على الوصول إلى الحقيقة التى أقروا أنهم يجهلونها – فيصلو إليها وهم لا يشعرون] (١) كما استخدمه أفلاطون واتخذه منهجا له للوصول إلى الحقيقة عن طريق المناقشة بين اثنين أو عن طريق مناقشة النفس لنفسها [وحد الجدل بأنه المنهج الذى به يرتفع العقل من المحسوس الى المعقول دون أن يستخدم شيئا حسيا بل بالانتقال من معان الى معان بواسطة معان وبأنه العلم الكلى بالمبادئ الاولى والأمور الدائمة يصل اليها العقل بعد العلوم الجزئية ثم ينزل منه إلى هذه العلوم ويربطها بمبادئها والى المحسوسات يفسرها فالجدل منهج وعلم يجتاز جميع مراتب الوجود من أسفل إلى أعلى والعكس] (٢)

وإذا كان أفلاطون قد رفع الجدل إلى مقام العلم والمنهج العلمي فإن أرسطو قد نزل به الى مرتبة أدنى مما قال به أفلاطون وسقراط فحده بأنه [الاستدلال بالايجاب أو بالسلب في مسالة واحدة بالذات مع تحاش الوقوع فى التناقض والدفاع عن النتيجة الموجبة أو السالبة وليس يمكن ذلك بالاستناد إلى حقائق الأشياء لأن المقدمات الصادقة لا تنتج النقيضين فى آن واحد فلا يدور الجدل إلا بمقدمات محتملة أى آراء متواترة عند العامة أو عند العلماء فالقياس الجدلى يتفق مع البرهان فى أنه استدلال صحيح ويختلف معه فى أن مقدماته محتملة .. وإذن فليس الجدل علما أو منهج العلم كما قال أفلاطون ولكنه الاستدلال على وجه الاحتمال] (٣)

---

(١) تاريخ الفلسفة اليونانية للأستاذ يوسف كرم ص ٥٢ .

(٢) المرجع السابق ص ٦٩ .

(٣) المرجع السابق ص ١٣٠ .

هذا هو موقف الفكر اليونانى من المنهج الجدلى موقف يتسم بالتناقض والاضطراب فما قال به افلاطون نقضه أرسطو وما اثبته افلاطون نفاه أرسطو ... الخ

فإذا ما وصلنا إلى الفكر الاسلامى نجد القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة يجعلنان لهذا المنهج مكانته البارزة والتى لا تقل شأنا عن المناهج السابقة فى افادته لليقين مع بيان الشروط التى يجب توافرها فيه والأسس التى يقوم عليها .

فلقد وردت كلمة الجدل بمشتقاتها فى القرآن الكريم فى ثمان وعشرين موضعا مثل قوله تعالى ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ. العنكبوت : ٤٦ ﴾ وقوله سبحانه ﴿ أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هى أحسن . النحل ١٢٥ ﴾ وقوله تعالى ﴿ وَإِن جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ الحج ٦٨ ﴾ إلى غير ذلك من الآيات فضلا عن وجود سورة بكاملها تحمل هذا الاسم (سورة المجادلة) علاوة على ما ورد فى القرآن الكريم بمعناه من محاورات فكرية [وقد ورد الجدل فى القرآن بعدة صيغ أهمها]

١ – ما رد الله به على الخصوم من الحجج والبراهين وما ساقه من الأدلة لتثبيت العقائد وتقرير قواعد الملة وهو أمر ضرورى لتبليغ رسالة الله وهذا النوع من الجدل القرآنى وإن كان فيه معنى الإلتزام والافحام فإنه أيضا مشتمل على الارشاد .

٢ – ما ورد فى القرآن بطريق الحوار والقصد منه الاسترشاد وحب الاستطلاع والنظر للعظة والاعتبار أو الترجى والدعاء .

٢ – ما ورد على ألسنة الكفار من الاعتراضات والشبه والدعاوى الباطلة وهذا يدخل تحت عنوان الجدل بالباطل كما ورد فى القرآن الكريم ﴿ وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق . غافر ﴾ (١)

ولو أمعنا النظر فى آيات القرآن الكريم نجد أن بعض الآيات تأمر بالجدل مثل قوله تعالى ﴿ وجادلهم بالتى هى أحسن . النحل ١٢٥ ﴾ وقوله تعالى ﴿ وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ. العنكبوت ٤٦ ﴾ والبعض الآخر تنهانا عن الجدل مثل قوله تعالى ﴿ وَلاَ تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ. النساء ١٠٧ ﴾ وقوله تعالى ﴿ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ.البقرة ١٩٧ ﴾ على أن الجدال المأمور به فى بعض الآيات غير الجدال المنهى عنه فى البعض الآخر لأنه لا تعارض بين نصوص القرآن الكريم لذلك قسم العلماء الجدل فى القرآن الكريم إلى قسمين :

القسم الأول – الجدل الممدوح وهو ما كان بنيه خالصة وجرى بطريقة سليمة وادى الى خير وفى هذا الصدد يقول ابن تيمية رحمه الله فكل من لم يناظر أهل الالحاد والبدع مناظرة تقطع دابرهم لم يكن أعطى الاسلام حقه ولا وفى بموجب العلم والايمان ولا حصل بكلامه شفاء الصدور وطمأنة النفوس ولا أفاد كلامه العلم واليقين .

القسم الثانى – الجدل المذموم : فهو كل جدال ظاهر الباطل أو أفضى اليه قال تعالى ﴿ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ. الكهف ٥٦﴾

(١) المنهج القرآنى فى الجدل والاستدلال للدكتور عبد السلام محمد بنهروال مجلة منار الاسلام العدد ١١ للسنة ٢٦ الصادر فى ذى القعدة سنة ١٤٢١ الموافق فبراير سنة ٢٠٠١ م .

والجدل المذموم ينقسم إلى قسمين : ١ - الجدال بغير علم ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ . الحج ٨﴾ ٢ - جدال لنصرة الباطل بالشغب والتمويه بعد ظهور الحق ﴿وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق . غافر ﴾ (١)

أما عن مزايا المنهج الجدلي في القرآن فإنه يتمثل في عدة نقاط أهمها :

١ - أن الجدل القرآني يستهدف الحقائق في ذاتها ويقيم عليها البراهين والحجج الدالة على الأمور المعينة مثل الأمور الغيبية ولا يمكن أن يعرف شئ من ذلك بالقياس البرهاني وغيره من أقيسة المناطقة .

٢ - أن الجدل القرآني لابد أن يكون قائما على العلم أما الجدل القائم على الظن والجهل فهو مرفوض مذموم صاحبه في الدنيا والآخرة وهذا بخلاف الجدل الأفلاطوني .

٣ - أن الجدل القرآني يوصل إلى اليقين بينما هو عند أرسطو لايفيد إلا الظن .

٤ - أن الجدل ظاهرة انسانية لا يمكن اغفالها أو التغاضي عنها لذلك لابد من وضع الأسس والقواعد التي تقوم عليها .

٥ - أن الجدل القرآني يمكن أن يقنع الناس جميعا على اختلاف أصنافهم وتباين مداركهم اذا هم احتكموا اليه بينما هو عند أرسطو لا ينفع إلا صنف واحد من البشر .

---

(١) المنهج القرآني في الجدل والاستدلال .

هذا فيما يتعلق بالمنهج الجدلى فى القرآن الكريم.

أما عن موقف علماء الإسلام من هذا المنهج فهذا ما سنبينه لنرى مكانة هذا المنهج وكيف عالجوه فى أبحاثهم وما هى الأسس التى يقوم عليها عندهم .

لقد أخذ الاصوليون والمتكلمون منذ بداية نشاطهم الفكرى مواقف في تحصيل المعارف عرفت بالجدل وهو من نتاج قريحتهم وممارستهم للعلم وخاصة علوم الدين وهم فى ذلك أقوال تتعلق بتعريف الجدل لغة واصطلاحا وبيان الأسس التى يقوم عليها الجدل – وهذه الأسس ترتبط بمذاهبهم فى المعرفة أو مدارك العلوم عامة والدينية خاصة – ومميزات الموقف الجدلى والآداب التى يجب اتباعها كل المتجادلين يقول العلامة بن خلدون [وأما الجدال وهو معرفة اداب المناظرة التى تجرى بين أهل هذه المذاهب الفقهية وغيرهم فإنه لما كان باب المناظرة في الرد والقبول متسعا وكل واحد من المتناظرين فى الاستدلال والجواب يرسل عنانه فى الاحتجاج ومنه ما يكون صوابا ومنه ما يكون خطأ فاحتاج الائمة الى أن يضعوا آدابا وأحكاما يقف المتناظرين عند حدودها فى الرد والقبول وكيف يكون حال المستدل والمجيب وحيث يصوغ له أن يكون مستدلا وكيف يكون مخصوصا منقطعا وخلل اعتراضه أو معارضته وأين يجب عليه السكوت ولخصمه الكلام والاستدلال ولذلك قيل فيه انه معرفة بالقواعد من الحدود والآداب فى الاستدلال التى يتوصل بها الى حفظ رأى وهدمه سواء كان ذلك الرأى من الفقه أو غيره] (١)

---

(١) مقدمة بن خلدون ص ٤٥٧ .

وهذا النص يضع أيدينا على الحقائق التالية :

١ - أن هذا العلم وليد النشأة الاسلامية حيث إن الذى دعا إلى وجوده أمر اسلامي .

٢ - أن الجدل منه ما هو صواب ومنه ما هو خطأ .

٣ - أن مسائل الجدل مرتبطه ارتباطا كاملا بنظرية العلماء في العلم وذلك لاستخدامه فى مجال الاستدلال أو دفع الشكوك وهذا يعنى منذ البداية أن الجدل عندهم يفيد اليقين .

٤ - أن الجدل مرادف للنظر ولكن على اسلوب المفاعلة اى على أسلوب التدافع والتنافى وأهمية هذه الحقيقة تكمن فى أن الجدل بما أنه نظر والنظر الصحيح موصل الى الحقيقة فالجدل الصواب موصل الى الحقيقة ولكن على اسلوب التدافع لا يزيد الوصول إلى الحقيقة الا قوة ووضوحاً .

من أجل ذلك اعتني علماء الاسلام بعلم الجدل ودونوا فيه وكانت لهم طريقتان فى تدوينه يقول بن خلدون [وهى طريقتان طريقة البزدونى وهى خاصة بالأدلة الشرعية من النص والاجماع والاستدلال وطريقة العميدى وهى عامة فى كل دليل يستدل به من أى علم كان واكثره استدلال وهومن المناحى الحسنة وهو أول من كتب فيه المسمى بالارشاد] (١)

الأسس التى يقوم عليها المنهج الجدلى :

لقد وضع العلماء الأسس التى يقوم عليها المنهج الجدلى وقسموها إلى قسمين :

---

(١) السابق ص ٤٥٧ .

أسس عامة وأسس خاصة

يقول الامام الجوينى [فأول شئ فيه مما على الناظر أن يقصد التقرب إلى الله سبحانه وطلب مرضاته إلى امتثال أمره سبحانه فيما أمر به من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والدعاء الى الحق عن الباطل وعما يخبر فيه ويبالغ قدر طاقته في البيان والكشف عن تحقيق الحق وتمحيق الباطل ، ويتقى الله أن يقصد بنظره المباهاة وطلب الجاه والتكسب والمماراة والمحك والرياء ويحذر اليم عقاب الله سبحانه ، ولا يكن قصده الظفر بالخصم والسرور والغلبة والقهر فإنه منه دأب الأنعام الفحولة](١)

ومن هذا النص يتبين أن الأسس العامة التى يقوم عليها المنهج الجدلى تتمثل فى :

١- الانطلاق من الواقع دون نسق فكرى مسبق يكون له الأولية فى تحديد ما يدرس من الواقعة الخارجية فالمعنى هو ما يطابق الحقيقة المحسوس منها وغير المحسوس .

٢ – أن تحديد معالم الحقيقة لا يكون انطلاقا من منهب متعقل مسبق فى تفسير الوجود الخارجي ولكنه يخضع لاصول منهج ثابت لكشف الحقيقة يعتمد على الاستقراء او الاستدلال طبقا لطبيعة الموضوع المطروح على بساط البحث .

٣ – أن المعرفة الآتية عن طريق الحواس لها نفس درجة الضرورة من حيث إثبات الوجود الخارجي كالمعرفة العقلية بالنسبة للبديهيات العقلية أى أنه يأخذ بالحس مصدر للمعرفة الى جانب العقل كملكة ذهنية إلى جانب القلب للايمان والوجود وكذلك الخبر .

---

(١) الكافية فى الجدل للإمام الجوينى ص٥٢٩ تحقيق الدكتور فوقية حسين سنة ١٩٧٩

٤ – أن الموضوعات منها ما هو محسوس ومنها ما هو متعقل ومنها ما هو قلبى موضوع إيمان وكلها محل تصديق ولا ترد إلى المتعقل فقط كما هو الأمر فى الفكر الأرسطي مثلا لأن كلا منها يمثل حقيقة لها طبيعتها المفارقة الأخرى .

٥- أن النظر (الجدل) موصل للحقيقة مهما طال أمده إذا كان على الوجه المشروع .

٦ – أن الحقيقة تطلب لوجه الله تعالى بمعنى أنه لابد لمن يبحث فى العلم أن يطلبه مع خشية ربه فيما يسعى اليه وهذا أدب عرفت به الشريعة الاسلامية من أجل صالح الانسان (١)

أما الأسس الخاصة التى يقوم عليها المنهج الجدلى فإنها تتمثل فى النقاط التالية :

١ – أن الجدل لابد أن يكون بين طرفين طالبى حقيقة ومريدى بيان أما أن يكون أحدهما على يقين من أمره ببرهان قاطع لا بإيهام نفسه ويكون الأخر متوهما أنه على حق وهذا يعنى أن وجهة نظر كل منهما تخالف وجهة نظر الأخر فى موضوع واحد.

٢ – أن الجدل لابد من توفر فيه عنصر الأمان .

٣ – أن ما صح بالبرهان لا يبطله برهان اخر لان البراهين لا تتعارض أبدا ومن أجل هذا فإن شهادة الحاضرين بالغلبة لأحدهما ليست شيئا إذ ربما يكونوا موافقين لما ذهب اليه ولكن العبرة بالبرهان حتى ولو لم يقل به غيره .

---

(١) مقدمة الكافية فى الجدل للجوينى للدكتورة فوقية حسين ص ٤٧، ٤٨ .

٤ – أن النظر الذى به تصحيح الأشياء هو ردها إلى المقدمات الأوائل فما رجع اليها وشهدت له فهو صحيح ومالم يرجع اليها فهو فاسد(١)

وعلى هذا نستطيع أن نصل إلى النتائج التالية :

١ – أن المنهج الجدلى وليد الحضارة الاسلامية القائمة على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

٢- أن المنهج الجدلى فى الاسلام يختلف تمام الاختلاف عن الجدل فى الفلسفة اليونانية فهو عند سقراط وأفلاطون قائم على الفكر فقط بينما عند أرسطو لا يوصل الا الى معرفة ظنية لكنه فى الاسلام قائم على الحس والفكر والقلب وهو بطبيعته موصل الى اليقين .

٣ – أن المنهج الجدلى فى الاسلام يستعين ببقية المناهج الأخرى بينما فى الفلسفة اليونانية هو المنهج الاوحد عند بعضهم – كما هو الحال عند أفلاطون – ولا عبرة له عند البعض الأخر ، كما هو الحال عند أرسطو – والذى لا يعرف إلا بالقياس المنطقى .

٤ – أن المنهج الجدلى فى الاسلام يستخدم فى جميع العلوم كل حسب طبيعته وموضوع بحثه حيث إن مفهوم العلم فى الاسلام قائم على العموم والشمول بخلاف العلم عند اليونان وعلماء عصر النهضة الذين يحصرون العلم فى دائرة ضيقة .

٥ – أن الهدف من المنهج الجدلى فى الاسلام يتمثل فى الوصول الى الحق والخشية من الله سبحانه وتعالى وهذا مالم يعرفه اليونان ولا علماء عصر النهضة .

---

(١) انظر رسائل بن حزم تحقيق الدكتور احسان عباس حـ٤ ص ٣٢٥ وما بعدها.

هذا فيما يتعلق بأنواع مناهج البحث والتى سبق أن حددها علماء الاسلام قبل أن تعرفها أوربا بعدة قرون بل إن القرآن الكريم وكذا السنة النبوية المطهرة لهما الدافع الأول لعلماء الاسلام ومفكرية للبحث والتنقيب عن مثل هذه المسائل .

وفى النهاية يمكن الاشارة إلى عدة نتائج هى من الأهمية بمكان:

١ – أن علم مناهج البحث ليس كما يُدعى انها نتاج العقلية الأوربية وإنما هى نتاج العقلية الاسلامية القائمة على تفهم نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وصدق الله حيث قال " ما فرطنا فى الكتاب من شئ " وقوله " تبيانا لكل شئ " .

٢- أن ما كتبه الأوربيون فى هذا العلم اذا قورن بما صنفه علماء الاسلام فى هذا المجال لنجد أن البون شاسع بين هؤلاء وأولئك حيث إنه عند المسلمين أعم وأشمل وأدق وأحكم بينما أن سمته البارزة عند الغربيين التضارب والتناقض والتباين .

٣ – أن علم مناهج البحث يقوم على جانبين الأول يمثل الجانب المادى والثانى يمثل الجانب الروحى وهو عند المسلمين يسير على قدمين مستويا أما عند الغربيين فإنهم أخذوا من المسلمين – الجانب المادى فقط وتركوا الجانب الروحى – فهو يسير على قدم واحدة فهو علم أعرج وصدق الله حيث قال (أفمن يمشى مكبا على وجهه اهدى أمن يمسى سويا على صراط مستقيم)

أن هناك كثير من البحوث والنظريات العلمية لعلماء الاسلام ومفكرية نسبت بعلم وبغير علم لغير أصحابها من الغربيين وذلك لتعصبهم البغيض ضد الاسلام ولإنكار العبقرية المسلمة واثبات ذلك لانفسهم والعجيب أن الذى يشهد بهذا أبناء جلدتهم وصدق الشاعر

حيث قال " قد ينكر الفم طعم الماء من سقم وتنكر العين ضوء الشمس من رمد "

أبعد كل هذا فهل يصح ما يقول به بعض المسلمين من أن هذا العلم ما وجد إلا على أيدى علماء الغرب قد يقبل هذا من مستشرق أو مبشر لتعصبه البغيض للإسلام وأهله اما أن يقول بذلك مسلم فلا والف لا .

الخاتمة

يمكن استخلاص النتائج التى أثمرها البحث فى الأتى : -

١ – أن الفكر الاسلامى الذى هو نتاج العقل المسلم بتفهمه لنصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وتدبره لما إشتملت عليه هذه النصوص من معان قد احتوى جميع العلوم والمعارف ما وجد منها ومالم يوجد بعد .

٢ – أن الفكر الاسلامى قد إنتقل إلى بلاد أوربا وهو السبب الرئيس فى النهضة الاوربية والحضارة الغربية – شهد بذلك المنصفون منهم .

٣ – أن معالم المنهج العلمى الأوربى والذى قال به كل من بيكون وديكارت هو مقتبس من الفكر الاسلامى بصورة مشوهة فضلا عن تناقضه وقصوره ولقد اثبت ذلك بعض الغربيين انفسهم " والفضل ما شهدت به الأعداء " .

٤ – أن الفكر الاسلامى كانت له حضارة ومدنية فاقت ما سبقها من حضارات وما تلاها واذا أراد المسلمون تقدما ومدنية عليهم أن يعودا إلى كتاب ربهم وسنة نبيهم وما تركه سلف هذه الامة من أثار والذين دانت لهم الدنيا بأسرها .

٥ – أن الفكر الاسلامى قد إشتمل على معالم المنهج العلمى القويم والذى يتفق مع طبيعة الموضوع المدرك والعقل المدرك والذى يتلائم مع الزمان والمكان .

٦ – أن الجانب السلبى للمنهج العلمى فى الفكر الاسلامى ممكن التحقق والوقوع بينما أنه لدى الفكر الغربى – أوهام بيكون

وقواعد المنهج عند ديكارت – مستحيلة الوقوع حيث أنها تطلب انفصالا تاما بين العقل والواقع فضلا عن التناقض البارز عند كل منهما .

٧ – أن خطوات المنهج العلمى فى الفكر الاسلامى يمكن تطبيقها على أى فرع من فروع العلم المختلفة ما يخضع للتجربة ومالا يخضع بينما أن المنهج العلمى الاوربى مقصور على فرع واحد من فروع العلم – حسب تخصص واضعه – فضلا عن عدم اشتماله لجميع مسائل ذلك النوع .

٨ – أن القرآن الكريم وكذا السنة النبوية المطهرة قد أشارا إلى جميع أنواع المناهج العلمية وأن هذه المناهج وليدة الفكر الاسلامى وليس كما يُدعى أنها وليدة الفكر الاوربى .

٩ – أن علماء الاسلام ومفكريه هم أول من وضعوا الشروط والقواعد للمناهج العلمية وأنها عندهم تفيد اليقين بخلاف الفكر الاوربى

هذا وبالله التوفيق

مصادر البحث ومراجعه

(١) القاموس المحيط : للفيروزآبادي مطبعة الحلبي سنة ١٩٥٣ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي – دار الفكر سنة ١٩٩٩ .

(٣) التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) للإمام فخر الدين الرازي – دار الكتب العلمية سنة ١٩٩٠ .

(٤) مسند الامام أحمد بن حنبل – دار الفكر العربي

(٥) مناهج البحث العلمي للدكتور : عبد الرحمن بدوي – دار المطبوعات الكويت سنة ١٩٧٧ .

(٦) تجديد الفكر الديني للدكتور محمد اقبال ترجمة الاستاذ العقاد سنة ١٩٦٨ .

(٧) شمس العرب تسطع على الغرب : زيغريد هونكى نقله عن الالمانية فاروق بيضون – كمال دسوقي : راجعه ووضع حواشيه فاروق عيسى الخوري ط٦ سنة ١٩٨١ .

(٨) المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت للدكتور محمود رقزوق – دار المعارف سنة ١٩٩٧ .

(٩) في مناهج العلوم للدكتور / حسن عبد الحميد رشوان – مؤسسة شاب الجامعة الاسكندرية سنة ٢٠٠٢ .

(١٠) لسان العرب لابن منظور – دار صادر – بيروت ط ١ سنة ٢٠٠٠ .

(١١) التعريفات للشريف الجرجاني : مصطفى البابي الحلبي القاهرة بدون تاريخ

(١٢) المفردات للراغب الأصفهاني : دار المعرفة بيروت ط٣ سنة ٢٠٠ .

(١٣) البحث العلمى ومناهجه النظرية برؤية اسلامية للدكتور / سعد الدين صالح

(١٤) دائرة معارف القرن العشرين للأستاذ محمد فريد وجدى بيروت بدون تاريخ

(١٥) أسس البحث العلمى للدكتور / حسن عبد الحميد رشوان - الاسكندرية

(١٦) أسس الفلسفة للدكتور / توفيق الطويل - لجنة التاليف والترجمة والنشر سنة ١٩٥٨

(١٧) منهج البحث العلمى عند العرب للدكتور جلال عبد الحميد موسى ط١ سنة ١٩٧٢ -دار الكتاب اللبنانى

(١٨) دراسات فى الفلسفة الحديثة للدكتور محمود حمدى زقزوق - الطباعة المحمدية سنة ١٩٨٨

(١٩) الالة الجديدة لفرنسيس بيكون ترجمة حبيب الشارونى - دار الثقافة - الدار البيضاء المغرب ط١ سنة ١٩٨٦ (فلسفة فرنسيس بيكون)

(٢٠) المذاهب الفلسفية العظمى للدكتور محمد غلاب - البابى الحلبى سنة ١٩٤٨

(٢١) قصة الفلسفة للأستاذ ول ديورانت - دار المعارف بيروت

(٢٢) تاريخ الفلسفة الحديثة للأستاذ يوسف كرم ط٤ - دار المعارف سنة ١٩٦٦

(٢٣) تأملات فى الفلسفة الحديثة والمعاصرة للدكتور محمد عبد الرحمن بيصار ط٢

(٢٤) قصة الحضارة للأستاذ ول ديورانت نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب

(٢٥) ديكارت للدكتور نجيب بلدى (سلسلة نوابغ الفكر الغربى) دار المعارف سنة ١٩٨٧

(٢٦) المقال عن المنهج لديكارت – ترجمة الدكتور محمود محمد الخضيري – الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٨

(٢٧) المفكرون من سقراط الى سارتر للأستاذ عثمان نوية الانجلو المصرية سنة ١٩٧٠

(٢٨) المعجم المفهرس لالفاظ القرآن : جمع الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي ط ١ سنة ١٩٩٦

(٢٩) تطور الفكر العلمي عند المسلمين للدكتور : محمد الصادق عفيفى الخانجى بدون

(٣٠) الاسلام فى عصر العلم للمرحوم محمد أحمد الغمراوى – دار الكتب الحديثة سنة ١٩٧٨

(٣١) محاضرات فى العقيدة والتوحيد للدكتور عبد الرحمن محمد المراكبى بدون

(٣٢) العقيدة الاسلامية وأسسها : عبد الرحمن حسن حبنكة ط٦ سنة ١٩٩٢ دار العلم دمشق

(٣٣) احياء علوم الدين للامام الغزالى البابي الحلبى بدون تاريخ

(٣٤) رسائل بن حزم تحقيق الدكتور احسان عباس ط١ سنة ١٩٨٣ المؤسسة العربية بيروت

(٣٥) المنهج القويم فى المنطق الحديث والقديم للمرحوم أمين الشيخ وأخرين القاهرة بدون

(٣٦) المنطق الحديث ومناهج البحث للدكتور محمود قاسم

(٣٧) الجواهر فى تفسير القرآن للشيخ طنطاوى جوهرى ط٢ البابى الحلبى سنة ١٣٥٠ هـ

(٣٨) الكشاف للإمام الزمخشرى

(٣٩) الكليات لأبى البقاء الكفوى

(٤٠) الأعمال الكاملة للإمام محمد عبدة تحقيق وتقديم د / محمد عمارة ط١ سنة ١٩٩٣ — دار الشروق

(٤١) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبى العز الحنفى – المكتب الاسلامى بيروت سنة ١٤٠٠ هـ

(٤٢) درء تعارض العقل والنقل للإمام بن تيمية تحقيق الدكتور / محمد رشاد سالم السعودية(جامعة الإمام محمد بن سعود)

(٤٣) القسطاس المستقيم للامام الغزالى (ضمن مجموعة القصور العوالى) الجندى بدون تاريخ

(٤٤) رسالة الكندى الى المعتصم بالله تحقيق الدكتور / احمد فؤاد الاهوانى

(٤٥) مناهج البحث عند مفكرى الاسلام للدكتور على سامى النشار

(٤٦) طبقات الامم للقاضى صاعد بن أحمد الأندلسى

(٤٧) مقدمة بن خلدون : دار القلم بيروت

(٤٨) المنطق الحديث وفلسفة المناهج للدكتور / محمد عزيز نظمى سالم

(٤٩) القرآن وعلم النفس للدكتور / محمد عثمان نجاتى دار الشروق سنة ١٩٨٢

(٥٠) منهج كتابة التاريخ الاسلامي حتى نهاية القرن الثالث الهجري للاستاذ محمد بن عامل العلياني – دار طيبة الرياض : ط ١ سنة ١٩٨٦

(٥١) في التاريخ فكرة ومنهاج للاستاذ السيد قطب – دار الشروق ط٤ سنة ١٩٨٠

(٥٢) تاريخ الفلسفة اليونانية للاستاذ يوسف كرم

(٥٣) الكافية في الجدل لإمام الحرمين عبد الملك الجويني تحقيق الدكتور فوقيه حسين سنة ١٩٧٩ .